

نَفَلُ أَصْوَلِ الشِّيْعَةِ

تألِيف
صَالِحُ الْحِيدَان

١٤٠١ هـ

الناشر

مَكْتَبَةُ الْحَمَيْنِ

الرياض - البطحاء عمائر الدغيث ت ٤١٢١٩٤٩

نَقْدٌ لِصُونَ الْشِّيْعَةِ

تألِيف
صَالِحُ اللَّهِيْدَانُ

١٤٠١ هـ

الناشر

مَكْتَبَةُ الْحَمَيْنِ

الرياض - البطحاء عمائر الدغيث ت ٤١٢١٩٤٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَقْدًا لِصُولِ الشَّيْوَعِيَّةِ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية

١٤٠٤ - ١٩٨٤ م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على عبده
رسوله وعلى من دعا بدعوته وسلك سبيله ونهجه القويـمـ.

أما بعد :

فإن الإنسان اليوم محاط بأعداء كثيرين والمسلم
بصفة خاصة له من الأعداء أكثر مما يظنه — فقد واجه
الإنسان والمسلم وخاصة ما لم يخطر على بالـ إـلـىـ أـيـنـ يـتـجـهـ
هـذـاـ إـلـإـنـسـانـ فـإـنـ أـمـامـهـ مـنـذـرـ بـالـخـطـرـ وـخـطـورـةـ الـخـطـرـ وـقـبـلـهـ
الـإـنـذـارـ يـجـعـلـانـ الـحـلـيمـ فـيـ حـيـرـةـ يـعـودـ بـعـدـهـ صـفـرـ الـيـدـيـنـ مـاـ
كـانـ وـيـكـونـ.

لقد واجه الإنسان في هذا العصر بما انفر به عصره
الذى هو فيه واجه الخوف والقلق وواجه الضياع وواجه قصر
النظرة والكدر وواجه الحرمان والضعف والخيرة وواجه
الظلال كل هذه وغيرها كانت من الخطر الذى جره

إلى نفسه الانسان .. ولو قوى صلته بخالقه ومولاه لما كان
ما كان ما يحرك القلب أو يدمع العين .. ولكن تحكم
الهوى وحب الذات ... إن الشرور متعددة وسبيلها
مختلف وغايتها واحدة والداعي لها هو هذا الانسان .

إن مواجهة الخطر أياً كان نوعه دون عدة يعني
الخطر ... وليست العدة بالمكانة لكل أحد أو موجودة
عند كل مطلب بل إنها تحتاج إلى ثمن كي تكون ملكاً
لكل من أراد النجاة في هذه الحياة .. إنها القوة الایمانية
إنها الایمان بالله .

والانسان اليوم يحتاج الى ما يقومه نحو الأفضل ويرزق
الخطأ من الصواب .

إن الانسان لفي شغل شاغل عما حوله ولا يدرى حتى
يكون المنتهى ، وتلك خسارة لم يُلتفت إليها ولم يعرها أي
إهتمام ... وأغلب الفتن أنه يملأ عقلًا لو حكمه لسار في
طريق غير الذي هو فيه .. ولكنها العجلة نحو الزائل وما
هو في طريقه إلى الفوات ...

إننا نواجه في هذا العصر شرًا متمثلًا بالشيوعية

والقاديانية والعلمانية والقومية والرأسمالية إن شر واحد لأن ما يريده زعماء هذه المذاهب هو السيطرة على الإنسان على حساب دين الإسلام ، والعلة في تعدد هذه المذاهب مع اتفاق الغاية فيها حتى يمكن جر الإنسان عن طريق واسع متعدد المنحدرات وليت المطلع من المثقفين يدرس على الأقل حقائق هذه المذاهب قبل دراسة الاختلاف فيما بينها إذاً لتبيّن له خطورة هذا الخطر الساعي إلى التدمير والشتات ... ويكتفي أن يُقال إن الإنسان هو مخترع هذا النوع من المذاهب البشرية ... وهذا يكفي في القول بقصور وعطل ما أنتجه وينتجه الإنسان ...

لقد كان اغترار الإنسان في حين من الأحيان أن جهل حقائق الاختلاف والاتفاق فيما ظهر على مسرح الحياة ... وهذه قضية المفكرين اليوم الذين كان اغترارهم نتيجة عن عدم دراسة الحقائق الكامنة التي تتطلب من كل مثقف أن يكون أكثر عمقاً ودرأية من غيره ...

وعلى هذا نقول إن اختلاف اسماء بعض المذاهب لا

يعني اختلافها في تحديد الغاية وراء كل ما تسعى إليه . . .
بل إن اختلافها من حيث الأسماء ناتج عن دراسة طويلة
كان فيها الاختلاف كما كان فيها الاتفاق .

وأقرب ما اختلفت الأسماء فيه وأشكل على بعض
الناس فهمه الشيوعية . . . فإن هذا المذهب لولا ما فيه
من اختلاف أسمائه الكثيرة^(١) لما دخل أكثر البلاد
الإسلامية . . . وما وجد من يعتني به إذا إستثنينا جملة
من الكتاب الشيوعيين في هذه البلاد . . .
ونستطيع أن ندون هنا دون تردد أن الشيوعية لم تقم
على قدميها خلال هذا الزمن الطويل إلا عن طريقين .

أولاً . . طريق القوة والجبر
ثانياً . . طريق التحليل العلمي والتأليف الواسع

وفي هذه الرسالة نحاول إن شاء الله بسط القول على
كل مطلب مع اعتراف بالقصور والتقصير .

ولعل من الأمور اللافتة للنظر والمحتجة إلى بيان في

(١) الشيوعية تسمى أحياناً بالاشراكية = المساواة، حرية الإنسان، العدل، الأخوة .

هذا المذهب وأدواره التاريخية المتعاقبة هو ما كان في عصر بنى أمية من حوادث صورها البعض^(١) على أنها من إرهاصات لمبادئ هذا المذهب.. وهذا فهم غلط في القراءة والاستنتاج وغلط بمعرفة طبائع الأحوال.. وذلك أن ما قام به ابن سباء من أعمال خفية واتصاله ببعض الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم كأبي ذر وأبي الدرداء.. لا يمكن أن يكون من الاشتراكية في شيء... وهذا وقع كثير من الكتاب في الغلط المشبوه غير المحقق.

إن ما فعله أبو ذرٍ من قيامه بما قام به في زمان معاوية رضي الله عنه لا يعتبر من الأمور الخارجة عن الزهد الذي دعا إليه الإسلام... أما أن يقال إن أبا ذر إمام الاشتراكية أو أنه دعا إليها أو هو أول من نادى بها... فإن هذا القول يفقد الدليل وبالتالي يدل على سطحية الكاتب لفهم الحقائق والواقع عبر التاريخ الطويل... من أجل ذلك لم يجعل هذا من الأدوار التي قام عليها المذهب الشيوعي أو الاشتراكية كما يسميهما الكثير.

(١) كالعقاد... وعبد الحميد جودة السحار وسواهما

كذلك أغفلنا عن قصد ما قام به «توماس مور» في القرن السادس عشر ولم نجعله من الأدوار التاريخية لهذا المذهب... لأنه لم يقم القيام المُغير للأحوال... وإنما كان جل ما قام به هو أنه تصور جزيرة تحكم بالنظام الشيوعي لا غير...

وهذا ما دعانا إلى ترك هذين الدورين، ولم نعتبرهما من الأدوار... ونحن إلى الانكار في الأول أقرب إلى الانكار في الثاني... لأن الأول يفقد كل حدث ودليل. ومن كتب عنه وأدرجه في الأدوار وجعل أبا ذر اشتراكيًّا من قريب أو بعيد... فعذرناه أنه يخضع للأحوال وما تعلمه عليه نفسه من الأمور التي يصعب معها الخلاص.

كان هذا اعتراض لا بد منه لعله يجدي أو يدفع إلى البحث من جديد... لتتبين أحوال التاريخ وواقعه عن طريق السعي إلى الحقيقة وإنصاف الواقع المعلوم.

وفي مناقشتنا لأصول الشيوعية كان تعوينا على مجلة البلاغ إذ هي قد تناولت هذا الموضوع بشيء مفيد... دفعني هذا إلى الرجوع إلى المصادر التي بحثت هذا

الموضوع فدعته وبلورته بما يسعني امام الله سبحانه وتعالى .

وبقية الموضوع المدون لم ندخل وسعاً في تصوير حقيقته خاصة ما ذكرناه عن الفكر الاسلامي وحاجته إلى النقد . والقصد من كل تدوين هذا الأمر أن تكون على يقين بطبيعة الحال .. وأن نقف موقف العالم الشاعر بالمسؤولية والإثم لا موقف المتفرج الذي لا يهمه إلا أن يشبع لديه غريزة حب الاستطلاع .

إن أملـي في الفكر الاسلامي اليوم كبير للغاية إنه أملـ من يرى حقائق بوادر الانبلاج .

ولا يفوتـنا أن نذكر كيف تبنت اليهودية الشيوعية وهي دين من الأديان والمذهب الشيوعي ينبذ الدين ويحارب الأديان ... لقد تبنتها لأنـها تريد أنـ يمرـ العالم بفترة يفقد فيه ربه وينـسـاه .. وذلك عن طريق المذاهب الوضعـية للبشر فإذا تمـ لها هذا الأمر .. عندئـ تدعـوـ العالم من جـديدـ وتـدـلـهمـ على العبـادـةـ للـلهـ عن طـرـيقـ مـحـرفـ لا يـقـومـ الـبـتـةـ عـلـىـ صـوـابـ وـكـانـ الـهـدـفـ منـ ذـلـكـ كـلـهـ هوـ أنـ يـسـودـ الـيـهـودـ وـيـكـونـ زـمـامـ الـحـكـمـ بـأـيـدـيهـمـ كـمـاـ وـضـحـ ذـلـكـ

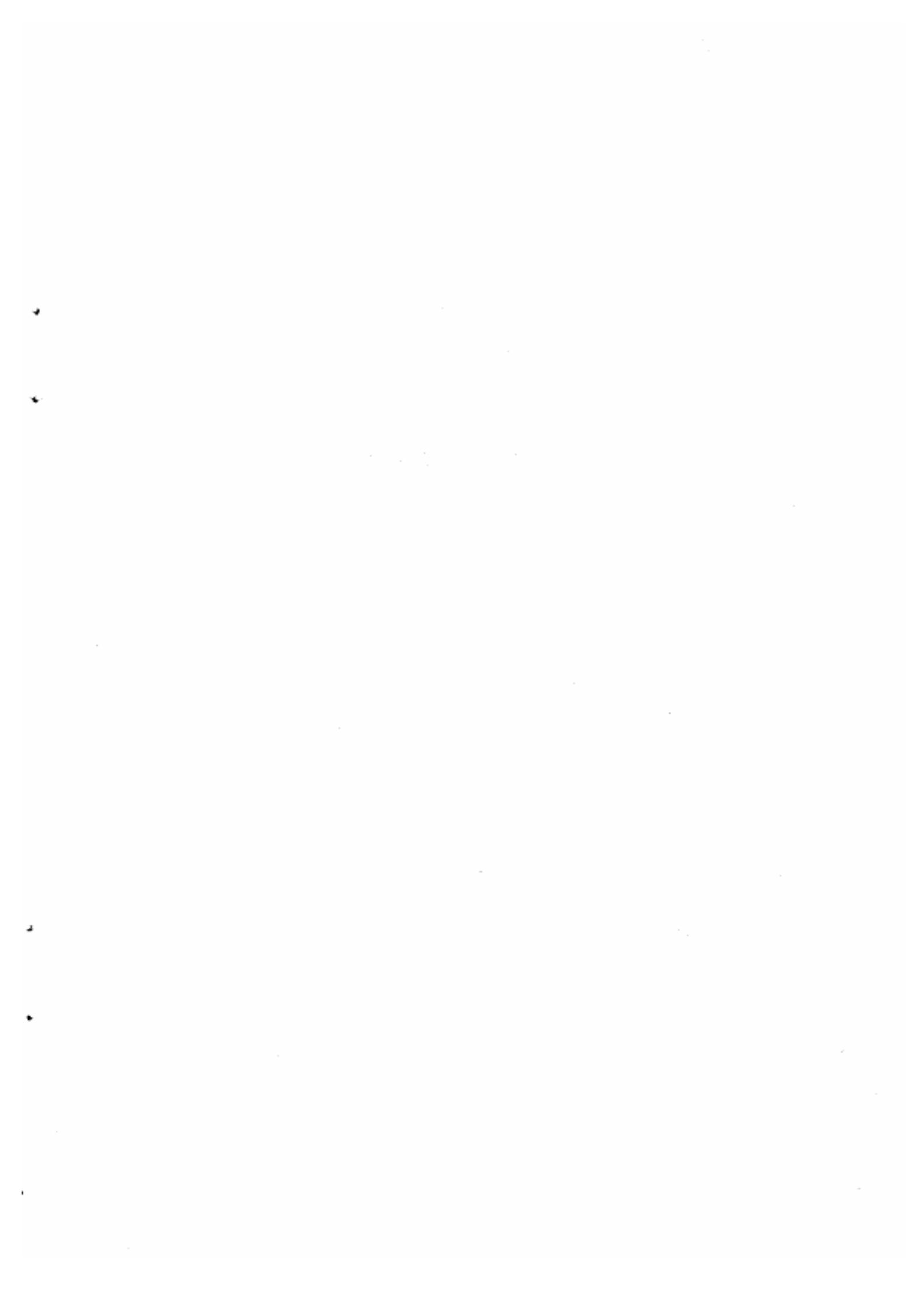
بروتوكولاتهم^(١). وتلك خطورة تدعو إلى أن يقام لها وتفهم على ضوء ما هو مرسوم... وإن نحن تجاهلنا هذا التخطيط أو أهملناه لبعد وقوعه مثلاً فلا جرم نكون كبراقش الجانية على نفسها في زمنها القديم.

صالح بن سعد اللحدان

(١) عد إلى كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» خليفة التونسي.

(٢)

أصل الشيوعية



حين كنت أدرس في الابتدائية في الصف الرابع من عام ٨٣ هـ... كنت جيداً في مادة الخط والانشاء .. و كنت إلى ذلك سفيهاً لا أقدر ما حولي من قريب أو بعيد ... ولم يكن لدى في ذلك الحين أني سأجر على نفسي مغبة ذلك السفه ... وما كنت كذلك فقد نزل هذا من قدرى وجعلنى لا أستحق التقدير الذى يحظى به بعض أترابى .

وقد صادف أن دعاني مدرس تلك المادتين إلى غرفة المدرسين ليرشدى عن ذلك السفه الذى لا يتاسب وجودتى ... ولكن لم يستمر في إرشادى إذ ثار جدل عنيف بين بعض الحاضرين من الأساتذة حول مسألة الاقتصاد وطريف الأمر أنه قد دخل سمعي أثناء ذلك الجدل اسم «ماركس» وأنه زعيم المذهب المعروف

بالماركسية... وانتهى النقاش بخروج الدرس وذهاب كل
منا إلى فصله أما أنا فقد رسم في ذهني ذلك الاسم
الجديد... ولما كنت معجبًا بالرجال فقد حفزني هذا إلى
البحث عنه.. ولكنني في آخر الأمر نسيت وأنسنت هذا
الاسم.

تلك قصتي مع هذا المذهب ولعله كان خيراً إذ حفزني
هذا إلى البحث عن أصل الشيوعية في التواريخ ، وما
لدي من مراجع لا تغنى عن المطلوب ...

المدخل

لقد نقبت في كتب متعددة لمعالجة إرجاع أصل
الماركسية إلى مكانها في التاريخ القديم .. ولم يتيسر علي
ذلك إذ وجدت هذا مدوناً تدويناً يعطي القليل ويفني عن
الكثير... فقد روت كتب التاريخ على سبيل القصة
والمثل شيئاً جيداً اغني في البحث عن كل بحث وقطع
بالتالي القول بأن الماركسية جديدة على الإنسان في العصر
الحديث.

ولعل ما نرويه هنا عن الأصل يغني الباحث ويغنى

طالب البحث على السواء عن معرفة منشأ هذا المذهب... وادعاء القطع أن هذا هو الحق فيما نقوله ونرويه لا يمت إلى ما نحن بصدده بل نشير أننا اجتهدنا ليس إلا... وعلى الغير التنقيب والتدوين... ومطلب البحث وفائدة في أصل الشيوعية أو الماركسية هدم ما قيل أن ماركس وغيره من المتأخرین هم الزعماء لهذا المذهب بل يقطع القول أن ماركس هو الوارد في المذهب الأخير.

وأيضاً حتى يدرك الباحث المسلم خطورة هذا المذهب وأن له صلة متصلة في الأرض... وأيضاً حتى تناقش هذا المذهب على ضوء من المعرفة التامة للمحيطة بكل جوانب الشيوعية... وأنصح المثقفين الذين يحاولون الدفاع عن الإسلام ومجاهدة الأعداء أن يستقوا من كتب السلف بل يجب أن يكون تعوييلهم عليها فهم أنظف عقيدة وأخلص تأليف وأجود عمل وأدرى بم الواقع النقد والرد.

ونحن هنا ليس لنا إلا أن نروي ما ورد علينا من أخبار الأولين وما جاء في كتب الفلسفه اليونانيين في عصرهم القديم إذ منبت الشيوعية كان هناك في أصلها

الأصيل... فقد جاء في كتاب افلاطون «الجمهورية» شيئاً من هذا يعطي ما يكفي في التدليل على نشوء هذا المذهب في ذلك الزمن البعيد فهناك أمثلة خيالية ولمحات عن الاشتراكية أثبتتها افلاطون في كتابه تصور حقيقة أن القرن الخامس قبل الميلاد وهو الذي وجد فيه افلاطون كان فيه مبادئ اشتراكية لم تزل في مهدها.. ولعلها لم تجد رواجاً بين سكان ذلك العهد لأنها غريبة عليهم أو بالأصح لأنها نتيجة ردود فعل عنيفة لم تجد لها مُتنفساً إلا عن طريق القول والتأليف. يقول افلاطون في كتابه الآنف الذكر ما فحواه: «يجب أن يشتمل النظام على إشتراكية النساء والأولاد، فليس لأحد الحق بانشاء أسرة مستقلة، كما ليس له الحق بتربية الأولاد، لأن الجميع ملك الدولة، وهي وحدتها تشرف على تنشئة العضو الصالح، كما تشرف على انجاب النسل المختار» انتهى^(١). هذه زبدة دعوته في كتابه هذا.. وأنت ترى خطورة ذلك حتى على الدولة نفسها شعرت أم لم تشعر.. وذلك أن التشريع العام والخاص يجب أن يترك كله لخالق

(١) كتاب. «الجمهورية». ترجمة حنا خباز.

الانسان فهو أعلم بما يصلح له وما لا يصلح .. والتدخل في مثل هذه الأمور معناه هلاك الانسانية ودمارها وفشلها في العمل والتطبيق . وقد تراجع افلاطون في شيخوخته عن بعض افكاره إذ اصدر كتاباً جديداً تحت عنوان «النوايس» وهو في الحقيقة لا يقل خطورة عن الأول لأنه ما زال مصرأً على بعض افكاره المنحطة التي لو طبق بعضها مثلاً لرأى الانسان ضياعه قبل الضياع . ولما لم يكن الناس في زمن افلاطون على درجة واحدة من المعرفة والتمييز لم يحاول احد منهم أن يثير هذه المسألة الأمر الذي دعا ذلك المذهب أن يخمد ويتوارى عن العيون ولكن لما كانت كلمات فلاسفة اليونان مدونة في كتب فقد حفظ هذا تلك الأمثلة عن الاشتراكيين وجعلها تعيش القرون لتجد وبالتالي مرتعها الخصيب فيما تلي من قرون .

ولا نجد فيما بين أيدينا من مراجع عن تلك الحقبة إلا الشيء اليسير الذي يوقف الباحث ولا يعطيه إلا القليل .. ولكننا ولا مراء نجد منفعة كبيرة إذ أدركنا منشأ الشيوعية في زمن موغل .. وهذا فيه ما يكفي في

المعرفة عن كل معرفة ويدل على الطريق ولو من أضيق طريق . . ومعرفة هذا الدور الذي يمثل الدور الأول ولا نجزم بأوليته يفيدنا من أين استقى هذا المذهب ومن أول رواده في زمانه السحيق .

الدّورُ الثَّانِي

لقد كانت الفترة الطويلة التي عاشها الزمن ما بين افلاطون ومزدك كافية أن تبلور الشيوعية وتجعلها أكثر مرونة مع طول السنين - ويدلنا على هذا ما لاقته من قبول كبير لدى غالبية الناس في زمن ما قبل الاسلام بقليل .

وقد وجد مزدك حوالي القرن الخامس قبل الاسلام في نيسابور وحينما ظهر مهّد لنفسه فبدأ يبث تعاليمه تدريجياً بين الناس ويغلب على طريقته الذكاء والتأقلم مما جعلها تنتشر في وقت قريب فقد ورد في تاريخ الطبرى ما معناه : « إن المازدكية بزعامة مزدك كانت تقول قد جعل الله الأرزاق بين عباده ليقسمها العباد بينهم بالمساواة . . ليعيشوا في هناء ورغد إلا أن الناس بغوا

وتظالموا فيما بينهم .. وزعم بعضهم وهم اصحاب مزدك أنهم يأخذون من الغني .. ومن كان عنده فضل من أموال أو نساء أو أمتعة فيجب أن يعطي غيره منها »^(١).

وقد تبع هذا القول من مزدك وأتباعه عامة الناس الذين لا حظ لهم منوعي وإدراك مما دفع هؤلاء الناس أن يشأوه ويقبلوه ، وقد جرّ هذا الأمر على بقية الخلق في ذلك الزمن أن اصحاب مزدك كانوا يدخلون البيوت الآمنة فيسلبون وينهبون ما فيها من أموال ومتاع .

ويتحدث الشهرياني فيقول : « إنه [أي مزدك] ينهى الناس عن الحقد والقتال وما إلى ذلك مما يجرّ على الناس الضرار ولما رأى أن النساء والأموال هو سبب ذلك فقد أحل النساء وأحل الأموال .. وجعل جميع الناس شركاء في ذلك »^(٢) . وتوصل الأمر إلى الفوضى في الحياة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية .

هذا باختصار مُجمل ما يمكن أن يقال عن المزدكية وهو

(١) تاريخ الأمم والملوك .

(٢) الملل والنحل .

يعطي حقيقة نشاط هذا المذهب .. وأنه نشط حيث وجد
وقت الجد والنشاط .

ومزدك كما لا يخفى مما سبق قوله كان صاحب فكرة
وغایة وكان في جد بالغ ... ولعل هذا من الأسباب
الكبيرة في رواج هذا المذهب بين عامة الناس في ذلك
العهد ...

ولعل مما يزيح الجهل عن معرفة هذا أننا نقول ولا نزيد
على الظن والحدس أن الشيوعية قد تبلورت وقاسكت
حتى أخذ بزمامها مزدك في هذا القرن .

ونحن نعلم أنه ما من مذهب يوجد في أي زمان من
الأزمان إلا ويكون له بعض الأتباع المختلفين في الذكاء
والفطنة مما يجعل مذاهب الأرض باقية يتناقلها أناس عن
أناس وتبعاً لهذا البقاء يكون التدرج نحو التطور
والتاسع . والجهال والعموم من الناس يتبعون الزعماء
تلك عادة جرت منذ قديم الزمان . ونهاية مزدك كما ذكر
المؤرخون كانت نهاية سيئة بحمد الله فقد قام « قباد »
كسرى وجع مزدك وأتباعه حين ظهر الفساد واستشرى
قتلهم جميعاً وتنفس الناس تنفس المظلوم الحيران .

ولكن اعمال مزدك و تعاليمه بقيت تعايش القرون ،
وذلك أن بعض اتباعه الذين لم يقدر الله عليهم الموت
قاموا بنشاط سري رهيب الأمر الذي جعل من هذا
المذهب باقياً مع الأيام .

الدَّوْرُ الْثَالِثُ

إن كان موت الرجال يذهب بما يقولونه فهذا باطل لم
نسمع به من قبل ... وإن كان موتهم يعني موت أجسامهم
وكفى .. فهذا حق قال به ويقول به ما تبقى لهم من
آثار .. وهذا ما حفظ لنا آثار افلاطون ومزدك وغيرهما
وجعلها تسير متطرفة مع الزمن في كل زمان .

ولا جدل أن الفترة التي كانت بين مزدك والاسلام
كانت فترة متناقضة .. جهل وعلم ، نور وظلم ، أمن
وقتال ، وكان إلى جانب ذلك كله كفر وإيمان ، كفر
مختلف وإيمان مختلف لا يحده حد ولا يقر له قرار .

وحين جاء الاسلام انصرف العرب الى هذا الدين
الجديد تاركين كل شيء لا يلتفتون اليه ولا يعيرونه أي
إهتمام واستقر الاسلام وأمن الناس وتمكن هذا الدين بحمد

الله من الدخول الى القلوب حتى عم الاسلام الأرض أو
 كاد ... بأقل من ربع قرن تقريباً ... وحين فسد القوم بما
 دا خل قلوبهم من علوم أخرى غير القرآن والحديث
 وعلومهما نبتت الفرق ونشأت المذاهب المختلفة في القيل
 والقال ... ولسنا في معرض القول عن تاريخ تلك
 المذاهب ...^(١) ولا يهمنا منها إلا ما له صلة بالحديث عما
 نحن بصدده ... والذى يهمنا من ذلك مذهب القرامطة ...
 وهم فرع من فروع الاسماعيلية كذلك هم خليط من
 الناس لهم اهداف وغايات ... وقد عُرفت هذه الفرقة
 بنزعتها الاشتراكية التي تميل الى الإباحية المطلقة في كل
 شيء ... وقد مهدوا لها بأقوالهم الجذابة زاعمين أن
 اشتراكيتهم تحقق الأخاء والمساواة والعدل بين الناس ...
 ويُعتبر « حمان قرمط » زعيم القرامطة .

وكان أول ظهورها على بعض الأقوال أنها ظهرت في
 - الغرب - من واسط حيث اختلف الناس في الجنسيات
 مما يسر جمعهم وتأليفهم تحت قيادة واحدة أياً كانت ...
 وقد أسس هؤلاء القوم « دار الهجرة » فيها يجتمعون

(١) راجع ما كتبه أبو زهرة، وأحمد أمين = مع الخذر في القراءة.

ويؤدون اعمالاً مرتبة مدرورة منظمة مما دعا الى دخول
كثير من الناس في هذه الفرقة حيث وجدوا ضالتهم كما
يزعمون . . .

وحين رأى حمان قرمط إنتشار مذهبه وشدة الاقبال
عليه أو فدر جالاً ، خاصة الشباب القوي المفكر إلى قرى
كثيرة لينادوا الناس للدخول فيما يدعون إليه . . . وقد
اتسع هذا المذهب إتساعاً مروعاً وقامت جمعيات سرية
كثيرة . وحين كثر هؤلاء الاتباع وذاع بعض الخبر وانتشر
أمرهم إنتشاراً غير مقصود . . . أمر أحد خلفاءبني
العباس باحتمادها وفعل بهم العجب وذلك عام ٢٩٤ هـ . . .
إلا أن هذا الفعل لم يأت عليها كلها وإنما هي فترة حتى
ظهرت من جديد . . . فقد قام زعيم جديد هو «أبو طاهر
سليمان» ، فأخذ يغزو المدن والقرى وينكل بهم ووصل
الأمر إلى أن دخل مكة المكرمة وقتل الناس وشرد
غيرهم إلى كثير من البلاد . . . وكل هذا الذي جرى كان
بسبب مذهبهم من أجل أن يحكموا العباد ويقودوهم إلى
مراتع الوثنية دع عنك الفوضى والضياع والدمار . ولا
مراء بين أحدٍ أنه ما من أمرٍ له اتباع وأعوان يدعون

له بترتيب وتنظيم وهم في هذا الطريق وغاية إلا ويتم النجاح بأي طريق يكون النجاح ...

ونهاية القرامطة كانت نهاية سيئة بعد أن أفسدوا في الأرض وظلموا وتجبروا وأهانوا الأماكن المقدسة .. وتلك نعمة من الله لكل مفسد في الأرض ... ويستحق هؤلاء كل وضمة عار ولعنة أبدية في التاريخ ... ولو لم يقولوا بشيء من المنكر لكن دورهم أثبت دور عرفه الإنسان فيكفي أنهم أباحوا الأعراض والأموال ودعوا إلى الإلحاد وحببوا ذلك إلى النفس .. ويكتفي أنهم يحاربون الله ويستعبدون العباد .. وهذه طريقة كل وثنية في التاريخ مع اختلاف الأسماء واختلاف الزمان والمكان .

الدَّوْرُ الْسَّرَّابِعُ

هذا الدور أبلغ في القول والشرح مما سبق من أدوار ... وتأتي هذه الصفة له لقوته الظاهرة وتأثيره على مجرى الأحداث في القرن الأخير ... ومن ثم انقلاب منهج مفهوم التاريخ بما سبق له من ثبات وقرار ... ولا يعطي هذا « ماركس » أفضلية بأنه رجل الساعة أو أنه

مُغير مجرى حياة الناس في التاريخ والاقتصاد ... لأن هذا الرجل لا يعدو أن يكون صاحب طموح يريد لنفسه مكانة في التاريخ ليبقى ذكره سارياً على لسان كل أحد، وهو أيضاً حسب قراءتي لحياته يشعر بالنقص والفشل في حياته أراد تسديد هذا النقص عن طريق مخالفة الفطرة والعقل دع عنك النقل ... وهو يعلم ما في ذلك شك أنه وقف ضد الواقع والمعلوم ولكن هكذا أراد .. ولتكن إرادته ما كانت فسوف يقف أمام الله ليり حسابه وعاقبة أمره وليري اتباعه من بعده كل ما هو معد لهم من شدة وعقاب اليم . ومدخل الحديث عن عصر ماركس يحتاج الى مجلد ضخم مستقل إلا أن الحديث عن ذلك لا بد منه ليتضح كل شيء وإن كان هذا فيه بعض الاختصار لأن هذا يعطينا صورة عن حياة العصر وعما فيه من أحداث غيرت مجرى تاريخ أوربا في أقل من اعوام معدودات نظراً للقوة العسكرية الغاشمة ... والحقيقة أنها لا نستطيع أن نحكم على شيء إلا إذا تصورنا ذلك الشيء والحكم بالظن يجر على الباحث والمفكر وخاصة المؤرخ أشد الأزمات .. ولذلك لم يكتب التاريخ بعد ولم تكتب

حياة القيادة حتى هذا الحين... لأن كل هذا يحتاج الى جو من الحرية والتجدد عن النزعات والعصبيات... ولا بأس من قبول ما يكتب اليوم من كلام إذا أعطي القارئ بعض الادراك والاهمام يستطيع عن طريق هذين الأمرين أن يقرأ ما بين السطور، وقل من يكون مثل هذا.. ولذلك تجد اغلب القراء عندنا وإن قرأوا عوام.

العصُر

أوربا بدون شك كانت خالية من قانون يحكمها فضلا عن دين يوجهها نحو حياة أفضل.

لقد كانت أوربا حوالي عام ١٨٤٠ م تحيا صراعاً شرياً عنيفاً لا يهدأ ولا يستقر، وما إن يستقر حتى يثور من جديد... وفوق كل هذا خراب في خراب ودمار في دمار ويدرك التاريخ المعاصر أن أوربا لم تسلم من ويلات هذه الحروب ففرنسا وألمانيا وال مجر وايطاليا والنمسا ذاقت في أقل من وقت قصير شيئاً لا يتصوره عقل بشري... ولا جدل فقد نشأ من جراء ذلك تشرد وضياع وقلق وفساد.

والمؤرخون المعاصرون لأحداث أوروبا لم يكتبوا إلا القليل النادر وعذرهم في هذا أنهم يخضعون للاهواء والرغبات والميول وهذا يجعلنا نقف أمام كل كلمة قالها أولئك موقف المستريبي وعليينا نحن أن نستقص الأخبار وأن نستشفها من مطانها لنقف على حقيقة كل ما جرى ... وحياة «ماركس» في هذا يكتنفها غموض من جهتين حياته الأولى، وحياته اثناء تزعمه المذهب المعروف.

١ - أما الجهة الأولى فلا علينا إذا لم نفهمها لأنه لم يصل درجة الاهتمام بدراسة حياته.. اللهم إلا إذا أردنا أن ندرس نفسيته وأطوار تاريخه لنحكم بالتالي على ما قام به من أعمال.

٢ - أما الجهة الثانية فنحن بحاجة إلى فهمها لتتمكن من معرفة الملابسات التي أحاطت بحياته ولنتمكن بعدئذ من النقاش العلمي الجاد الذي نرجو أن يكون من وراءه الخير الكثير لأمة الاسلام.

ولكي نقف على حقيقة ما نحن بصدده نقول إن ماركس ولد في خضم هذه الحياة المشينة التي لم يقر لها قرار فقد

ولد عام ١٨١٨ م من ابوبين يهوديين ، وكان مولده في
مدينة تريف بالمانيا^(١) .

وشب مع أترابه إلا أنه كان في مقتبل عمره يلاقي
الواناً من الأذى والعقاب مما جعل نفسيته في صغره غير
متفقة مع أحدٍ من الناس ... ويعتبر ماركس في أيام
طفولته في شذوذ كبير ولعل ذلك كان نتيجة ما يلقاه من
سوء تربية وسوء إحسان . ولما بلغ من العمر مبلغاً يؤهله
للدرس والتحصيل درس الحقوق وتفنن في دراسة الفلسفة
وال تاريخ^(٢) وقد بلغ في الفلسفة مبلغاً كبيراً جعله من
المتخصصين في هذا المجال .

فقد درس هذا الفن وعلمه إلا أنه ترك هذا المجال وبدأ
يدخل الحياة السياسية التي فيها مطلبها وشهوته من
السمعة والذيع .

إنقل «ماركس» إلى باريس بعد أن قام بتحرير مجلة
«الغازيت الرينانية» التي أوقفتها الحكومة فيما بعد
لخالفتها النظام .

(١) لمحات من تاريخ العالم . نهرو ... يقرأ بتحفظ زائد .

(٢) المصدر السابق .

وفي باريس قام بكتاباته الاشتراكية معتقداً الفلسفه
والعلماء إلا أن حكومة فرنسا أخرجته فذهب الى
بلجيكا حيث إننسب إلى عصبة الاشتراكيين التي كانت
تعمل مع العمال في شتى الأقطار ... وقد وجد ماركس في
هذا ضالته ولكن لم يدم هذا له فقد أوقفت حكومة
بلجيكا نشاطه فعاد إلى فرنسا ثم إلى المانيا حيث قام
بتأييد حركة العمال ، والتقوية من نشاطهم وفي عام
١٨٦٦م أصدر كتابه «رأس المال » الذي يتضمن فلسفته
وطريقته في الحياة ...

ولولا زميله انجلز لما ذاع لماركس هذا الصيت ولخدم
إسمه أقل مما هو عليه الآن .

لقد فعل انجلز شيئاً عجيباً تجاه ماركس فقد أصدر
كتابات تشرح وجهة نظر ماركس وتبين أحقيتها
ومكانتها مما دعا الكثير من المفكرين في هذا القرن
بالذات في الشرق الأوسط إلى تبني هذه النظرية تجاه
الحياة .

تلك نقلة قليلة تغنى عن الكثير مما يتطلبه القارئ
العادي وهي في حقيقتها رسوم وإشارات تفيد ولا تفید

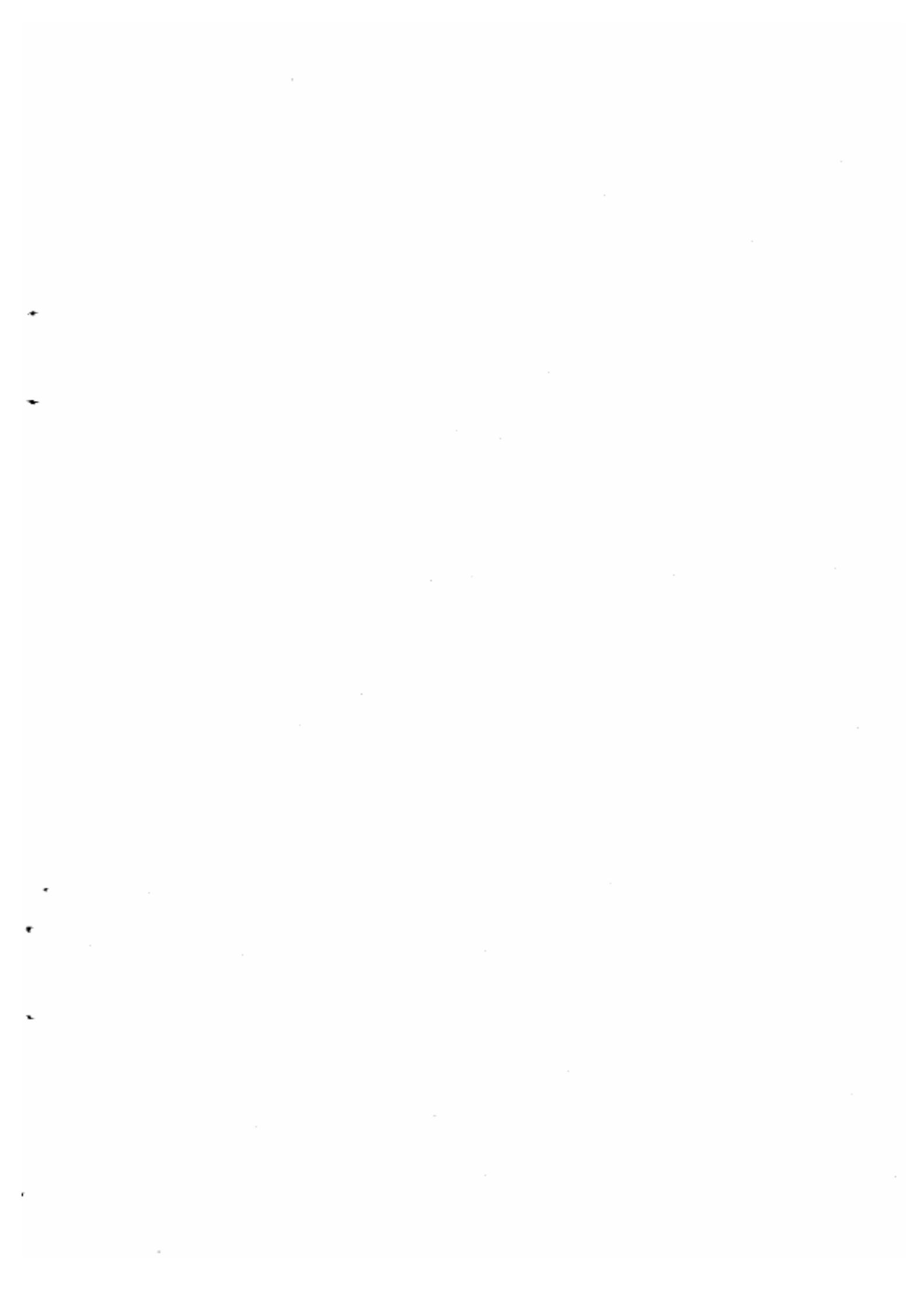
وهدفنا من هذا أن ندرك إرهاصات خروج هذا المذهب وكيف تبلور خلال قرون متطاولة حتى صار له هذا شأن واهتمامنا بالتاريخ يعطينا إدراكاً أكثر لفهم نظريات هذا المذهب ويوقف المطلع الجيد على المطلوب من كل ذلك.

وحياة الذين أسسوا «الاشتراكية» ليس فيها من الفائدة إلا الوقوف على سبب بروز هذه النظرية أو إن شئت هذا الرأي إلى حيز الوجود... وما هي العوامل الكامنة التي حفظت هذا المذهب خلال هذه السنين... بل ما هو سر تطور هذا الرأي في عصرنا الحديث^(١).

ومهما يكن قول القائلين في تعليل الأحداث وظهور النتاج البشري في الأرض فهو لا يعدو أن يكون دراسة تاريخية خاصة معرضة للخطأ والصواب.. وليس يوجد اليوم من هذا إلا النذر اليسير.. وكل ما قيل عن ذلك فيه من الوهم أكثر مما فيه من الحق.. ولعل مرجع ذلك أن المسلمين لم يبحثوا هذا الباب بل لم يحاول أحد منهم

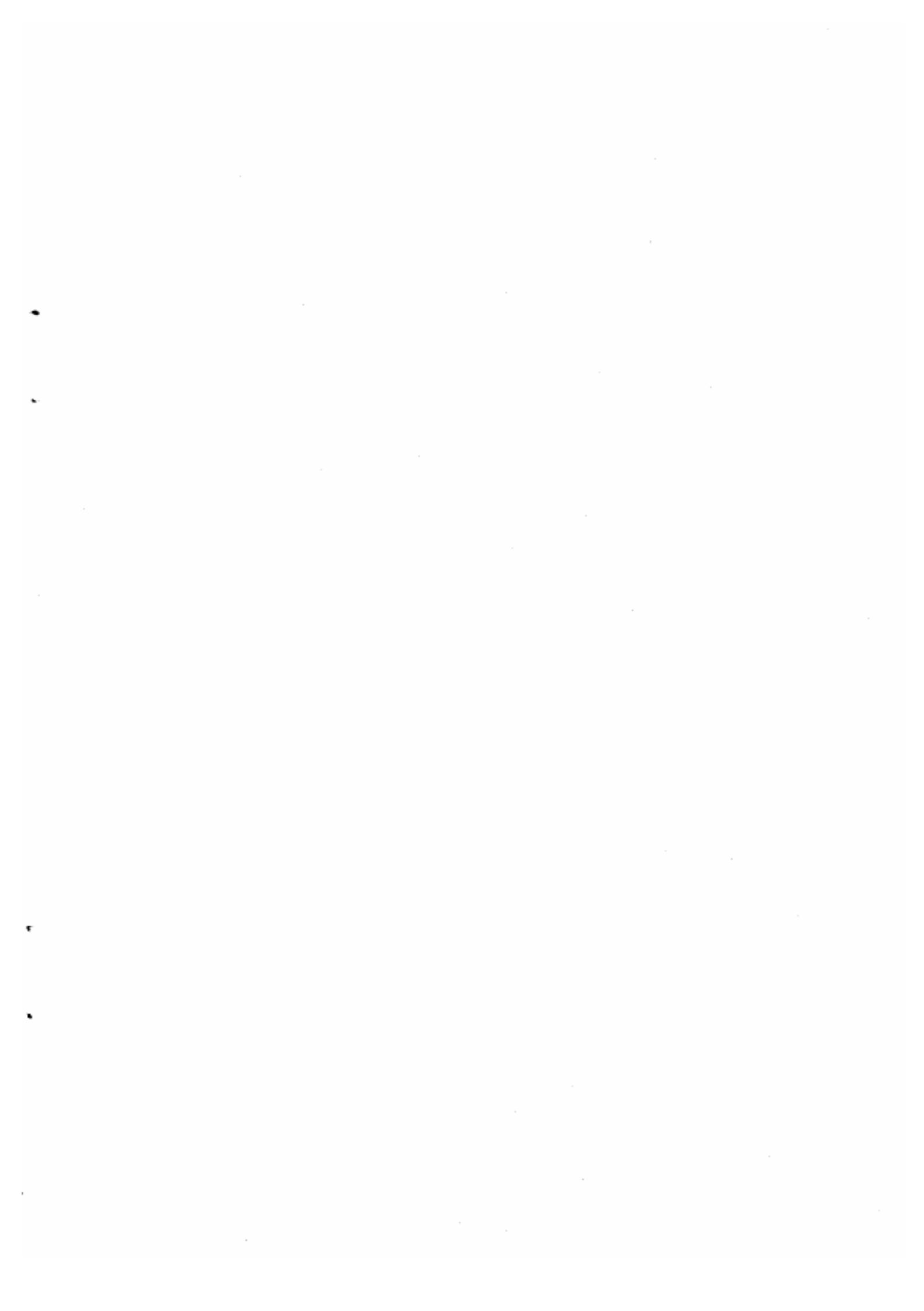
(١) السبب الرئيسي في انتشار الشيوعية «اليهود».

شيئاً من هذا القبيل.. وليس لهم من العذر إلا أن
المرجح أنهم في شغل شاغل عما يحوطهم من خطر كبير.



(٣)

تطوّر الشّيوعيَّة



ما من حدث من الأحداث يوجد في أي عصر من العصور... وما من خبر يُقال إلا ويُدون... وفيه من الحقيقة ما يعطي الدليل على سريانه في صلب الأوضاع، ورقيه من دور إلى دور... ولو لا ما له من روافد ومن فعاليات تجره إلى الظهور بين كل حين لما كان له من ظهور أو حتى بروز. ولا يتوارى نظام إلا ويختلفه نظام وما تسقط حضارة إلا ويقوم على أنقاضها حضارة فيها مما سبقها القليل أو الكثير تلك سنة مطردة في كيان الامم عبر عهود البشر^(١) ولا يستقيم أمر من الأمور إلا لما فيه من خير وصلاح، وما يدوم قول إلا لما يتضمنه من حكمة تدل على السبيل وعلى المنهج المرسوم. ولا جدل بين أحد من الناس أن أوضاع الانسان لا تسير في تطور من شيء

(١) حضارة الإسلام... مستقلة بسبلها وغايتها وأهدافها.

الى آخر إلا إذا اعتمدت على ما هو فوق مستوى ذلك
الانسان . . .

ومن خلال بحث ما في الأديان السماوية وما وضعه
البشر من أحكام وقوانين نجد في الأديان السماوية ما هو
فوق المستوى إلا أن هذا يكون قاصراً على زمان تلك
الأديان أما ما وضعه البشر فيكون للزوال أقرب منه
للبقاء على كل حال وأمامنا في عصرنا الراهن بعض
الأمور التي عمت وكادت أن تكون شغل الناس .

أمامنا هذا الدين العظيم الذي يجد فيه الانسان
الطمأنينة وراحة البال .

وأمامنا كذلك ما ينافي هذا الدين ويحاول أن يجعل محله
عن طريق السبل المختلفة للوصول الى غاية تقف عند
حدها المحدود . . . هذا أمر متفق عليه فالدين اليوم هو
محل النظر وهو محط القصد من قبل جميع المنظمات
والدعوات الباطلة ولا يخفى أن الدين محفوظ وما من أمرٍ
يحفظه الله إلا وهو المحفوظ . . .

ولا قول بتطور الاسلام ، فالاسلام هو كما أنزل لا
يحتاج إلى زيادة فضلاً عن نقصان .

والعيب كل العيب أن نجاري العصور ونُخضع هذا الدين لتلك المجازة زعماً أنه لا بد من مسيرة القرآن للانسان والذي لا غبار عليه أن الانسان وعصوره تخضع وتكون على وفق ما رسم هذا الدين وأنزل في القرآن.

وأما تطور الدين فليس فيه من تطور لأنه أنزل ليرفع البشرية في كل قرونها... ومهما فعلت البشرية فلا تزال محتاجة إلى هذا الدين لأنه هو الكافل لها وعندئذٍ فلا مزاحمة أن الاسلام للعصور كلها مهما أتي الانسان.

ولسنا بحاجة لتبين ما في هذا الدين من قوة وعظمة... وكيف طاول حياة البشر... ولكن الحاجة تبرز لتبين كيف تتطور أوضاع الانسان... وكيف تسير الحياة...؟

هذا أمر يحتاج إلى بيان وإلى إستقصاء ودراسة شاملة تعين الانسان الدارس... ومريد الحقيقة على فهم التطور في الانظمة والأوضاع.

وتتطور المذاهب التي يقودها الانسان لا تتطور لذاتها وما فيها من عوامل البقاء والاستمرار... وإنما يكون تطورها لأنها محية ومدفوعة إلى ذلك بشتى الطرق.

إن هذا التطور الذي ساير ما أوجده البشر لا يعني

التطور وإنما يعني انه قام على ما له من قوى ظاهرة تحفظه من التصدع ... إن المشاهد في البنيان الذي يبنيه الإنسان إذا لم يحافظ عليه ويرمم بين كل حين وحين فإنه يزول بل يندثر كذلك هذه المذاهب .

وأمر جديد نذكره على سبيل التذكير ... إن ما يحدثه الإنسان في أي وقت ولا يعتمد إلا على العقل المجرد إذا لم يكن له أكثر من راقد فإنه يضمحل ويختفي غيره مما يحدث ولا يكون للأول أي ذكر لأنه زال وزال أثره ... وإذا كان الأمر بهذه الصفة فإن جيلا أو جيلين من الناس لن تذكره بل تنساه ... وخير معول على صدق ما تذكره هذه الأنظمة التي لم يبق منها إلا الخبر على سبيل العبرة والاتعاظ .

وتتطور الشيوعية من خلال ما اطلعنا عليه يصور مدى الضوابط القوية التي أحاطت بهذا المذهب ... وأنه لو لا القوة الجبرية التي حالفت الشيوعية في أكثر من مناسبة لما كان لها هذا الذيع بين أكثر الأقطار .

إن التطور الشيوعي لا يعني تطور وصلاحية ما فيها من أنظمة ومن نظريات عن التاريخ والاقتصاد .. وإنما

تعني أن انظمتها ونظرياتها فساد في فساد .. ويعني البقاء والتطور تلك القوة النارية التي أرغمت الناس على الالتزام وأخذ الأحكام .

إن دوام الشيوعية لأمرٍ خارج عنها فهناك دول وهناك رجالٌ أعلامٌ تبنوا هذا المذهب ولو لا هذا الأمر لكان الحديث الشيوعي قد فقد بقاءه منذ أن كان في مهده ... لأن طبيعة الإنسان من حيث هي تنكر ما في الشيوعية من اقوالٍ تنافي عقل الإنسان .

ولا يفوّت أن نذكر أن بعض المفكرين من مختلف الأقطار قد عاشوا في جوها ردحاً من الزمن ولما لم يروا شيئاً يفيد العالم اعلنوا قريباً فشلها وأن زوالها في الامكان أن يكون إذا نوقشت نقاشاً علمياً مناسباً^(١) ولعل من اضافة القول أن نقول إن النقاش يجب أن يتخصص له رجال يقتصرن بحوثهم على هذا المذهب وغيره من المذاهب لأنني لم أر قوة في البحث والأدلة كما رأيتها عند الشيوعيين الذين أخلصوا لها في كل مجال .

(١) راجع كتاب «الصنم الذي هوى».. لعدة مؤلفين أجانب .

ويكنا بعد ذكر ما ذكرناه من قول كان لا بد من ذكره أن ندرس مراحل تطور الشيوعية في العالم ... وليس هذا التطور مقصوراً على عالم دون عالم بل قد شمل العالم كله وذلك من خلال أمور عجيبة قد يختار الانسان في قبولها لا سيما إذا علم أن بلاد الاسلام قد ظهر فيها من يدعوا الى هذا المذهب ... وليس لنا في ذلك الا جلب الأدلة ويبقى على الغير القول في مجال الكلام.

ولعل من أبرز أسباب تطور الشيوعية هذه الأمور التي نأخذها من خلال ما حدث أخيراً من قيام الحروب والثورات ... ومجمل الأسباب هي كما يأتي :

أولاً .. قامت الثورة الروسية في أعقاب الحرب العالمية ولو أنها لم تقم إلا في سنة ١٩١٧ م لنشرت اتجاهات الدين والمثل والأخلاق .. ولكن الحظ حالف الفكر الشيوعي لأنّه وجد في هذه الثورة من يقويه ويكتب عنه في أقوى أساليب النشر المدعمة بالأدلة.

ثانياً .. بعد قيام الحرب العالمية الأولى قامت الحرب العالمية الثانية وقد حصل الاتحاد السوفييتي على شيء كبير من النصر العسكري والسياسي والاجتماعي الذي

دعم قوة النشاط الشيوعي .

ثالثاً .. ما في الغرب من أخطاء كثيرة لحل المشاكل المتعددة الناجمة عن فقدان الدين ... وهذا قوى من نشاط المذهب الشيوعي وآزره ودفعه ليكون المخلص من أزمات الانسان في تلك البقعة .

رابعاً .. ما تقوم به اليهودية العالمية من إستغلال لنشر هذا المذهب عن طريق احدث الوسائل الجديدة التي ثبتت من دعائم الشيوعية في اكثر من قطر .

خامساً .. الاستعمار له أثر ظاهر في انحطاط وتأخر الشعوب المستعمرة وذلك عن طريق الكبت وقفل باب الحرية الأمر الذي أفسح المجال لانتشار الشيوعية .

سادساً .. قوة وسائل الاعلام المنتشرة هنا وهناك والدعائية الظاهرة الواسعة .

سابعاً .. ما يقوم به الشيوعيون من بحث علمي جاد مستند على أدلة مغربية تقول بأن الدين خرافة .

ثامناً .. تفرق كلمة المسلمين وانقسامهم على أنفسهم

وتبعاً ما بين اقطارهم وهذا أضعف العقيدة وذبذب المسلمين .

هذه محمل الأسباب وأكدها في القول بتطور الشيوعية وهي في الواقع ملموسة ... ولو قام علماء متخصصون بهذه المسألة بالذات لأمكننا معالجة «الفكر الشيوعي» وبيان ما فيه من هلاك للإنسان مدة ما هو عامل فيه أو معجب به أو منفذ له .

التطور الشيوعي في البلاد الإسلامية :

إن كان لا بد من عجب فهنا موضع العجب الذي لا شك فيه .. وإن كان لا بد من إستنكار فهذا مكان الاستنكار .

وإن يكن العدو من غير جنسك ومنتلك فهذا ليس بالمستغرب وإن يكن منك وفي حدود دينك وموطنك فهذا الغريب المستغرب الذي يحتاج إلى درس وإيضاح .

وحيثما يقال العالم الإسلامي قد أصابه ما أصاب العالم الآخر فلنسنا نجانب الحقيقة ونذكر الأوهام وإنما نقول الواقع الذي لمسناه من خلال الثقافة .. والتاريخ ..

والاقتصاد .. والأدب وعلى سبيل التخصيص كل ما ينتمي إلى الإسلام من فكر حديث تزعمه جلة من المفكرين في شتى الأقطار .

ولعل السبب الراجح على كل سبب مرجوح في دخول أكثر المثقفين في بعض زلات الشيوعية ... هو ما قام به أكثر من مفكرٍ مجددٍ يحبذ الشيوعية بأساليب واضحة ... وخاصة ما كتب في مجال الأدب العربي وهو نوع من الأدب الإسلامي الكبير وإن كنا نقصر الحديث مع الدليل على الأدب والفكر فلا يعني هذا القصر عليهما، بل إن هذه صورة من صور في شتى مجالات الثقافة على العموم .

ولو أن مجال هذه الرسالة يتسع لإيراد كل ما قيل عن الشيوعية لتأثتناه ولكن كما قلنا إن صورة واحدة تغنى عن كل صورة في كل مجال ، وليس على المثقف والداعية إلى الله المتمكن من الإسلام والايام إلا أن يقرأ ويفهم من أجل أن يقف على خطر هذا المذهب في العصر الحديث ونحن هنا نكتفي بشيئين نرى أنهما من الكفاية بمكانتهما ولا جرم يعطيان الحق على ما نقوله

ونورده... ولسنا نتهم أحداً مهما كان دون دليل وإن كان الدليل غير لازم فهو هنا لازم لا محيد عنه لأن الذين سندكرهم لهم ذكر جيد بعيد ستر ما لهم من هفوات... وأملي كبير أن يعود القراء والمثقفون إلى موطن الحق وينسون الاعجاب الذي عادة يكون مغطياً وحاجباً على ما للآخرين من باطل خاصة كبار المشتهرين الذين هم أولى من غيرهم بالنقد والبيان.

ونورد الآن أقوال الذين أعلنوها صريحة دون خجل أو خوف من هؤلاء على سبيل المثال: قسطنطين زريق... وهو وإن كان اسلوبه ركيكاً إلا أن له خطره يقول في كتابه «نحن والتاريخ» بعد دعوته إلى القومية والعلمانية «إن للمذهب الماركسي الذي يتضمن هذا التعليل سحره وفتنته خاصة لجتمع في مثل وضعنا السياسي والأجتماعي والعقلي فهو صادر من البلاد التي تنازع الغرب السلطة والنفوذ والزعامة». ويقول أيضاً: «ثم إنه مذهب يبدو محكمًا متاسكاً يعلل الأشياء والأحداث تعليلاً مبسطاً حتمياً ويبشر بالثورة سبيلاً للتقدم وينظر إلى المستقبل نظرة تفاؤلية قاطعاً الوعود العذبة الخلابة وناسجاً الآمال

الزاهرة وفي هذا ما فيه من جذب وسحر للشعوب التي ناءت بالذل والجمود زمناً طويلاً... وأخذت تتطلع الى الرخاء والعدل والمساواة «^(١)».

أكبر الظن أن قسطنطين زريق بوق لا أكثر ولا أقل وإلا هو يعلم يقيناً ما في الماركسية من أمور مشينة ذاق طعمها أكثر من واحد واليدين أنه لم يعش في جو ديني يجعله أكثر تعقلًا من هذا الهراء ، والعلم أنه يعلم أن للمذهب الماركسي خطره على الإنسان والدول والحكومات ... وشل الأفكار وتقييد الحريات وكبت العقول ولكن لندعه وما في نفسيته من أزمات وردود فعل نتيجة لخلو قلبه وجسمه من الروح المعنوية المؤمنة بالله .

ويقول محمد أحمد خلف الله في كتابه « القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة » .

« الأفكار الجديدة التي تعتمد عليها في إحداث التغييرات الجذرية هي التي تسمى في مجتمع اليوم باسم

(١) نحن والتاريخ: ص. ٤٠ و ٤١ .

الاشراكية أو المبادئ الاشتراكية وهي ليست بالافكار أو المبادئ البعيدة كل البعد عن المضامين القرآنية «^(١)».

وخلف الله هذا كاتب أشكل عليه فهم تفسير القرآن وصعب عليه الفكر الإسلامي الأصيل عند الطبرى والقرطبي وابن كثير وذلك بسبب أنه مجدد يريد أن يعيش الإنسان في عصر اشتراكي يُغنى عن كل عصر مضى... وهو بالتالي كسابقه في أنه مقلد وذنب وعبد ليس إلا... ولعله يخشى أن يكون رجعياً إذا سار على طريقة السلف الصالح من هذه الأمة.

ويقول خالد محمد خالد في كتابه «من هنا نبدأ»:

«إن هذا الكتاب ليحاول محاولة صادقة أن يجيب على هذا السؤال وهو يرسم الخطوط الرئيسية لتحول اجتماعي وديع يفضي بنا إلى قومية شاملة لا تنافر فيها والى اشتراكية عادلة لا استغلال ولا ظلم فيها، والىوعي ناجح سليم لا سلطان للرجعية ولا للكهانة عليه وإلى

(١) القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة: ص ٤٧.

سلامٍ غامرٍ يبدل حقد المجتمع حباً»^(١).

هذا كلام خالد محمد خالد ولقد قرأت ثلاثة كتب تتصارع على الدعوة الى الحرية المطلقة كلها من خط يده... وأحسبه عاد الى الحق والله حسبه... ولكن يبقى عليه امام الله ثم امام التاريخ بعد التوبة الدائمة الصادقة أن يتبرأ من كتبه ويعلن ذلك جهراً... وكتاباته التاريخية طيبة سهلة الأسلوب رقيقة المعنى جذابة اللفظ حسنة النظم ، وهذا جيد يدعو القارئ الى الاقبال على القراءة ومن ثم الاستفادة ويبقى على خالد محمد خالد الاعلان والبراءة والقيام ضد ما كان يدعو اليه من قبل .

ولعلنا بهذا القدر وهو الشيء الاول نكتفي بما أوردناه من ايراد قليل... ويكتفي أننا أعطينا صورة قيس عليها غيرها في كل كتاب أورد فيه صاحبه دعوة صريحة أو خفية مضادة للعقيدة الاسلامية... والذين لم نذكرهم في هذه العجالة ولم نورد لهم أدلة كما سقنا هنا عن الذين

(١) «من هنا نبدأ»: ص ١٩... وقد رد عليه الغزالي ردًا يحتاج إلى نظر.

ذكرناهم وجلبنا لهم الأدلة يكون هذا من القواعد على
القياس فيقاس كل كلام على ما يشابهه من كلام .

ونقول أخيراً لعل الخطورة في كتابة هؤلاء تقل
خطورة عن خطورة الذين لم يصرحوا بدعوتهم أو أنهم
صرحوا ولكنهم عرفوا كيف يصرحون .. ويتبين هذا
قربياً من ايراد الأدلة . الشيء الثاني ثبتته هنا وهو من
الخطورة بحيث لا يمكن اغفاله بل لا بد من الاشارة اليه
مع إيراد الدليل . ونحن ازاء هذا الأمر نقف عند
الظاهر ونحكم عليهم من خلاله أما الباطن له الله سبحانه
وتعالى ... ومن المفيد جداً أن نغربل أقوالهم ونشير إليها
من قريب ... والذى نذكره مما نقلناه من كتبهم هو وحده
الكافى في الحكم على ما لهم وعليهم فى ميزان النقد
والتحليل ، ولو لا خطورة هذا الأمر وشدة واباهامه
احياناً على الكثير لما تعرضنا له ولا مسكتنا عنه ووكلنا
أمرهم الى الله من قبل ومن بعد .

وأمر نذكره قبل نقل الكلام عنهم وهو أنهم لم يقولوا
 شيئاً عن الشيوعية بيد أنهم مهدوا لها ولغيرها سواء
أرادوا أو لم يريدوا فمن يقدح بدين الاسلام ويكون ضده

فهو يتطلب غيره ليحل محله وهذا أمر مفروغ منه . . . وهو ليس بحاجة الى قول أحد من القائلين . . . ولا نعتذر في النقد بل نقول إننا لا نتعذر ومطلبنا توحيد الفكر الإسلامي ونبذ كل أديب ومؤرخ وكاتب غير مسلم إلا أن هداه الله وتاب وأناب فحينئذ تكون سوى ، يقول طه حسين في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » ، ردًا على سؤال مُقدّر : ما هو التجديد الذي تحتاج إليه في العصر الحديث . . . ؟

يقول : « السبيل الى ذلك واحدة فذة ليس لها تعدد وهي : أن نسير سير الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها وما يُحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب »^(١) .

ويقول كلاماً يُحسد عليه : « من المحقق أن تطور الحياة الإنسانية قد قضى منذ عهده بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ولا قواماً لتكوين الدول »^(٢) . يُعرف طه حسين باسلوبه السهل

(١) مستقبل الثقافة في مصر : ج ١ ص ٤٥ .

(٢) مستقبل الثقافة في مصر : ج ١ ص ١٥ .

المتنع الذي لا يصعب على أحدٍ ما فيه ولا يخفى ما يحمله من طوايا يشير إليها من قريب أو بعيد ... وهو هنا يريد أن تسلخ من الدين وعاداته لتلتحق بالأُوربيين في كل شيء وهو هنا أيضاً لا يتورع لأنَّه عرف بالجرأة في نقهـة وانتقاده ، تلك الجرأة التي أوصلتـه مكاناً بعيداً عن سـبيل الحق والهدى والصواب في اغلب ما يقول ويكتب ...

وخطورة طه حسين تأتي من أنه جريء في كلامه لا يلتفت إلى خطورة ما يحمله ذلك الكلام ... وهذا يعود إلى ما لقيه من تربية وما تغذى عليه من علم مخالف للعلم النافع الأكيد، وتأتي خطورته أيضاً أن له بعض المعجبين الضعيفي الادراك أو البعيدين عن جو المعرفة المستقلة التي تحمل صاحبها العاقل الحر إلى نبذ ونقد كل قول مهما كان القائل وعلى أي درجة يكون ، ولطه حسين كتاب آخر له دوره في هذا المجال هو كتاب «في الأدب الجاهلي » فيه شيء من التناقض بالدين وفيه مبالغة في التشهير بالأدب العربي ... وخطورته شديدة على من لم يدرك حقائق العلم وفنون اللغة والأدب ومنهج الشعر

الجاهلي وطبيعته على الوجه الصحيح .

وهذا لا يقدح ببطه حسين على القول بأنه رجع وعاد إلى الرشد فنحن لا نندي كلامه ولا ننديه إن كان كذلك والقول بأنه رجع موضع شك كبير . . . فليس بين أيديينا ما يؤيد ذلك إلا كتابات إسلامية ضعيفة ليتنا سلمنا منها ومعنى الرجعة في عرف العلماء التوبة على اصح تقدير وللتوبة شروطها ومنها البراءة مما كتب ونبذ ما قال وهذا لم يقله طه حسين ولم نسمع به .
ويقول علي عبد المرازق في كتابه « الاسلام وأصول الحكم » .

« ولاية الرسول على قومه ولاية روحية منشؤها إيمان القلب وخضوعه خضوعاً صادقاً تماماً يتبعه خضوع الجسم ». « وولاية الحاكم ولاية مادية تعتمد اخضاع الجسم من غير أن يكون لها بالقلب اتصال » .

ويُفصل القول فيقول :

« تلك ولاية هداية إلى الله وإرشاد إليه . . . وهذه ولاية تدبير لصالح الحياة وعمارة الأرض . . . تلك للدين وهذه للدنيا تلك لله وهذه للناس تلك زعامة دينية وهذه زعامة

سياسية وما أبعد ما بين السياسة والدين . . .^(١). أنا انكر كل الانكار أن يكون علي عبد الرازق مقتنعاً بما يقول وأتحداه على ذلك . . وكتاماً بعقله مقتنع بخلاف ما يتلفظ به لسانه ويجري به قلمه . . وأجزم أنه محروم من الشهرة وانتشار الصيت فأراد ذلك على حساب الاسلام وأحكامه . وكلامه هنا فيه إفساح لغير الاسلام ، وفيه ولا مراء عناد ومكابرة ورفض ورد لما جاء به القرآن ووردت به السنة من أن الدين الاسلامي دين ودولة مصحف وسيف عبادة وجihad قول وعمل .

ولعله يريد علمنة الدولة أو يريد قصر الدين على العبادة وكفى ، أو لعله يريد حكم ماركس وافلاطون ومزدك وغيرهم . . أما أنا فأقول إنه يريد كل ذلك ويدعو إليه ويتثبت به وإلا فما هدفه من وراء كلامه إن لم يكن كلامه مداعاة لكل تهمة . . ومن خلال دراستي لحياته الشخصية اتضح لي معاناته لبعض الأمراض النفسية ولذلك تجده غير مركز في كلامه ودعوته وحتى سلوكه وأعماله في البيت والعمل وخطورة كتاب علي عبد

(١) الاسلام وأصول الحكم : ص ٦٩ .

الرازق تأتي من أنه بحث من نوع رفيع وإن كان مفككاً وقد اعتمد مؤلفه على أقوال جملة من خصوم الإسلام، وهو بحث فيه وضوح بجانب أن فيه ذكاء ونوع تعریض... والكتاب بجملته من أخطر ما قرأت في هذا المجال لا سيما مؤلفه من رجال القضاء وأدرك شيئاً لا يأس به من أحكام هذا الدين فهو إذاً عرف ثم قال وتلك خطورة لا تضارع في حقل الاعتداء وايراد الأوهام. ويقول ميخائيل نعيمة في كلمة شرحتها له مجلة «الآداب»: «في رأيي أن الدرس الأكبر الذي يجب أن يتعلم منه العرب من هزيتهم النكراء أن الدنيا لا تساس بالدين فالدين موطن السماء التي لا يعرفها أحد والدنيا موطنها الأرض التي لا يجهلها أحد».

ويقول في وقاحة:

«فإذا كان العرب من يعتقدون أن حقوقهم لا تchan ولا تسترد إلا بالحرب وأن الحرب لا يكسبها إلا السلاح وأن السلام لا يخلقه إلا العلم والمال فما عليهم إلا أن يتبعدوا للعلم والمال لعل العلم والمال لا يخدلانهم حيث

خذلهم ربهم «^(١)

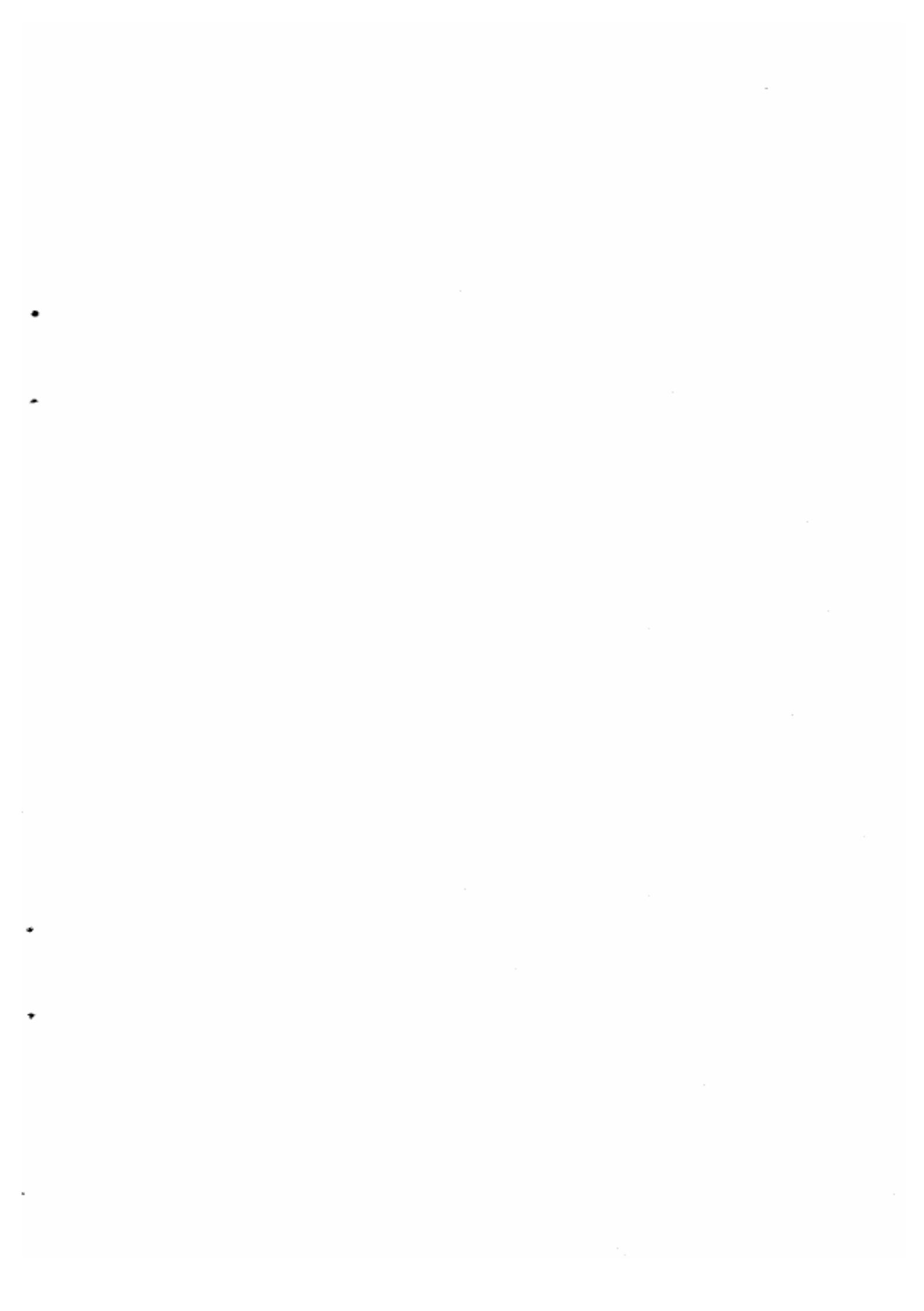
تلك وقاحة وتلك بلية والأردى أن القائل دخيل على الأمة ومن يوثق بكلامهم عند القراء عامة في مجال النقد والأدب وهو ما بغية المتأدبين في العهد الراهن حيث انصرف كثير من القراء خاصة كبار المثقفين انصرفوا عن الكتاب والسنة وكتب السلف الأخيار.

وميغائيلا نعيمة معهود عنه التحلل والدعوة الى الحرية البهيمية ولعله كما قيل لي بصفة شخصية من دعاة الا لحاد وعبادة غير الله ، ولا يبعد هذا ما دام كلامه دندنة حول الوثنية والذين نالوا من الدين الاسلامي في شتى العصور المتعاقبة وخاصة في هذا العصر قد فتحوا باباً كبيراً للوقوع العقلي في براثن الوثنية المختلفة .

وهم من ثم قد هونوا من شأن هذا الدين في نفوس بعض أهله الذين أغلبهم اليوم في مهب الريح . ولكنني أرى بوادر الإفاقة يسطع نورها من قرب ويقترب من الانسان السادر المعtoo .

(١) الآداب - عام ١٩٦٧ م .

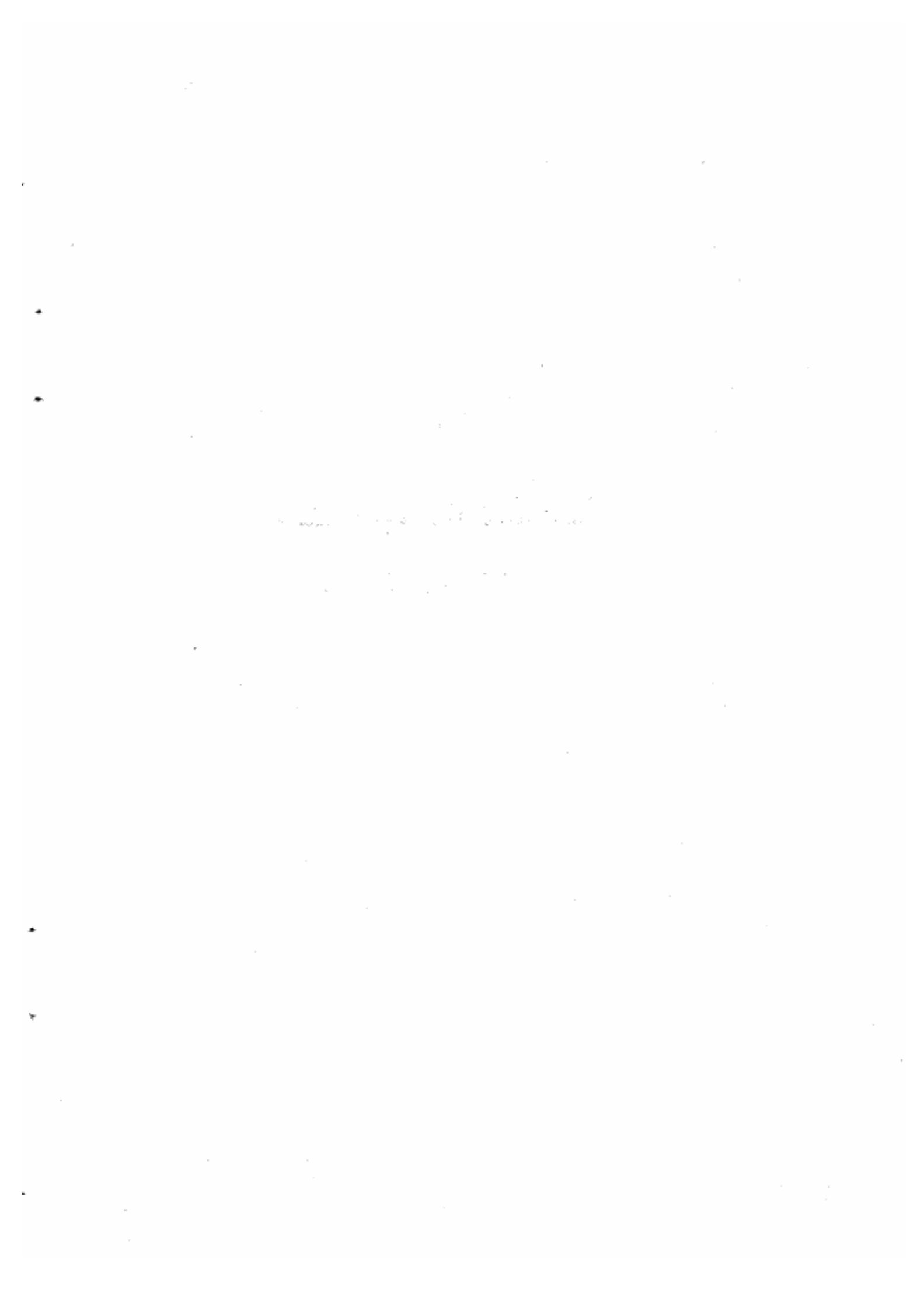
وأرى إقراراً بوعد الله لعباده أن هذا العمل العدائي
ليس إلا سحابة سوف يُرى من خلاتها القمر وتسقط
الشمس ويزول الركام وتهطل الأمطار . «ولينصرنَ اللَّهُ
مَنْ يَنْصُرُهُ» .



(٤)

نَفْذُ أَصْوَلِ الشِّيُوعِيَّةِ

القسم الأول



يعتقد الشيوعيون المعاصرون وكذلك بعض المتقدمين أن الطبيعة بما فيها من حوادث وأفكار ليست في حالة سكون وجمود بل إنها في حالة تجدد وتطور لا ينقطعان، وأن فيما دائماً شيء يولد ويتطور وشيء ينحل ويضمحل^(١). والشيوعية من أجل ذلك لا تقف نظريتها إلى الحوادث والأفكار من حيث علاقات بعضها ببعض بل من حيث حركتها كذلك.

ونحن هنا نستطيع نقد ومناقشة الشيوعيين أصلاً ونستطيع بن الله أن نتواضع معهم كما أمر الدين بذلك ، دين الاسلام مع جميع الخصوم في كل العهود . . . وذلك بأن ثبت سبق غير الشيوعيين إلى هذا الأصل . . . وأنهم لم يكن لهم البتة إلا مجرد التقليد والمحاكاة . . . والحق أن

(١) البلاغ: ص ٣٨ وما بعدها.

التطور مسألة فطرية وهبها الله عز وجل خلقه . . . ومن الحمق الكبير أن ينادي بها إنسان ما ثم يزعم أنه هو أول من قال بذلك . . . وأنه أول موجد لها ومن ولادات مذهبة أو تفكيره على الأقل .

إن مسألة التطور معروفة من قديم الزمان حتى عند الذين يجهلون ذلك . . إن المخلوق بطبيعته متتطور ومن ثم فهو يدرك ذلك خاصة الذين توسعوا بالعلوم وأدرکوا بعض حقائق العلم . . ولا ريب هنا اذا اتضحت ذلك بطلان إدعاء المدعين في الحديث والقديم . . إن المفكرين الذين كانوا قبل زعماء الماركسيين بقرون طوال قد أدرکوا ذلك بما وهبهم الله من فطرة وإدراك . . وعرفوا أن هناك تصوراً يساير الانسان ابداً فقد كان طاليس ٤٠٤ قم يعتقد «أن العالم جامد وأن اصل التطور فيه أصل ثابت» .

كما أن هرقليل ٥٠٥ قم كان يُشبه العالم بنهر جار وذلك يعني التطور . . وليس هذا فحسب فان اكثرا الذين يعيشون في بيئات مختلفة من الأرض قد تنقلوا من حالة الى حالة اخرى . . وقد قالوا بذلك قبل ظهور ما يُسمى

اليوم بالذهب الماركسي منذ آمادٍ موغلة في القدم ... ولو ذهب الانسان يبحث في الأرض لنطق الواقع وتحدث التاريخ ولحدثه المحسوس أنه عاين ذلك ... ألا يكون هذا هو التطور الموعود من قبل الله في الكائنات قبل زعم الزاعمين .

الإسلام

ولقد قال الاسلام منذ نوح عليه الصلاة والسلام بالتطور وحركة التجدد وأخبر الله سبحانه وتعالى بذلك ... القرآن الكريم مليء بذلك ، كما أن السنة أشادت بهذا إشادة تغنى اللبيب ... إن الفطرة السليمة التي لم يشبها كدر ولم يخالطها ريب أو قدر تدرك كل ما يمكن أن يكون في حدود الطاقة الانسانية مما أودعه الله في كل مخلوق .. وتعرف وبالتالي تعقل ... وهنا من العيب الدال على السخافة المناداة بشيء قد عُرف وعقله الناس على مر الأزمان والشيوعية ليست الوحيدة التي نادت بما أثبتته الله تعالى ثم ادعت أنها اخترعته وأنه من أصوتها ابداً ... فإن هناك غير الشيوعيين من المذاهب الكثيرة اليوم ومن المذاهب الصحيحة قد قالت بذلك بيد أنها بحمد

الله وخلال فترة من الزمن ماعت وماع معها ادعاؤها ولن تبرح الشيوعية فتقوى ... ونحن هنا نرى أن الشيوعية دائماً تحاول إيجاد موجود دون دليل وإن كان الدليل مفقوداً وإن كان موجوداً.

إن الشيوعية في عملها وكل أعمالها تقصد بناء مذهبها على شيء مدرك لكنها تحاول أن تظهر للناس ... أنها منقذة وهي تحتاج بل فرض علينا إنقاذها ... إن الشيوعية حينما ترى شيئاً يوافق ما تدعو إليه تتلزم به ثم تعود إلى ما لا يتصوره عقل ... ونحن اذا تعمقنا في مناقشة الشيوعية أو بالأصح الماركسية حول مفهوم التطور نجد عجباً يتجلبه فاقد الشعور ... كيف كان ذلك ...؟

إنها هنا في مسألة التطور وهو الأصل الأول في نظرياتها تحاول ظناً وتوهماً أن تقول أن كل موجود : أولاً... وجد متطوراً دون إيجاد.

ثانياً... أن الإنسان متطور عبر العهود المتطاولة منه

إلى قرد^(١).

(١) نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها.

ثالثاً.. أن الإنسان أشبه ما يكون بالحر المطلق غير المقيد فهو موجود من غير شيء وسيصير إلى غير شيء ومن ثم فهو يجب عليه أن يكون حر التصرف من الأكل والشرب والنكاح من كل شيء وفي كل شيء.

والشيوعية تحاول هكذا تحرير كل قاعدة فطرية تتخذها لنفسها... ولا أعلم مدى قول الشيوعيين عن الأمور الجديدة التي خالفت نظريتهم أصلاً وخرجت عما قاله الزعماء الأولون... إن الشيوعيين اليوم يتخذون وسائل عديدة لتبرير صلاحية مذهبهم وما يقولون به من أمور وقواعد... وهم يجدون ويلمسون أنواعاً من المخالفات التي نبذت الشيوعية من الجذور.. إن الفشل الذي بدأ الآن في صلب وأوضاع الشيوعية وهو يتمشى بها الآن إلى الأفول يعطي صورة حقيقة على خيبة ظنهم.. ولعل الذين نبذوا الشيوعية كما جاء في كتاب «الصنم الذي هو» يعطى أكبر دليل على أن الزعماء والرفاقي يقتلون أنفسهم تحت العبودية.

التناقضُ التَّطُورِيُّ

ونعني بهذا تناقضات التطور في المذهب الشيوعي الحديث .. الذي يقول : إن كل شيء حتى الحوادث التاريخية ترخر بتناقضات داخلية وفيها دائمًا عناصر تض محل وعناصر تتطور وهذا التناقض هو الذي يدفع بالانسان الى الحركة والجريان المستمر ... لأن الأضداد والنقائض الموجودة في داخل الشيء الواحد تجلب حتماً صراعاً مريراً لكسب المعرفة ... ومن هنا ينبع التطور^(١) ولعل الشيوعية في هذا الأصل الثاني «التناقض التطورى» نتغافل أكثر من اللازم وتحاول تعاملاً عن الحق الذي تزعم مسلكه أن تجمع بين النقيضين في شيء واحد ... ولعلها كذلك ذهبت مذهبًا ما ذهب اليه ... ولم يُعرف من قبل ولا من بعد ذلك أنها اعتقدت بمحارفة ،أن اجتماع النقيضين قانون عام للطبيعة والوجود وهي هنا لا تناقش إذ هي أقل من ذلك فهي كمن يقول : رأيت حيَاً وميتاً في آن^(٢) وليس هذا مجازاً كما يظهر للوهلة الأولى

(١) البلاغ : ص ٣٩ - عام ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

(٢) التدمرية : ص ٢٥ وما بعدها .

فهو حق... ولا يعلم حتى هذا الحين حقيقة هذا القول عندهم أعني... كيف قالوا به... ولعله منهم غير مستنكر فهم في الحق قد قالوا أشد من ذلك فالخلق صدفة وطبيعة... وي يكننا بعد هذا كله أن ندفع هذه النظرية بأنه ما دام هذا الأمر واقعاً وكل الموجودات تخضع له على زعمهم فهل يحق لنا القول: إن الشيوعية خاضعة أيضاً لهذا النظام التناقضي... إننا ولا ريب نرى الشيوعية في حمق بل جنون بالغ فكيف وهي مذهب بشري أو جده بشر ناقصون تدعى أن التناقض موجود... ثم هي لا تقول به على أنه ينطبق عليها... لقد ظن بعض الناس حيناً من الدهر صلاحية هذا المذهب وما برح بعض البسطاء كذلك. ويوم ظهر هذا الأصل لاكثر الناس خالفو أنفسهم وظنوا أخيراً أنهم فيما مضى في سبات عميق... الشمس طالعة غائبة، الرجل صحيح مريض كل هذا في لحظة واحدة. هذا باطل... يخالف طبائع الأشياء وحينما تبين ذلك عاد هذا الأكثر عنها... ولكن مع ذلك... وهذا مدار العجب في كل العصور التزمت الشيوعية بما قالت به.

الفطْرَة

إن الشيوعية خالفت فطرة الانسان وركبت الصعب في تقرير ما ذهبت إليه ولا يمكن لانسان مهما أött من علم وذكاء أن يحاول ادعاء ما لا يكون ... إن الشيوعية قد خالفت الفطرة ثم خالفت نفسها في واحد من الوقت ... وليت لي باركس أو لينين أو ستالين أو ماو ومن قبلهم انجلز يرون المخالفات التي رمت بهذا المذهب بعيداً عن الموافقة والتطبيق حتى في البلاد الشيوعية ... ومن ثم فللعاقل من جميع الأزمنة أن يدرك سر هذا التناقض في مذهب يدعي أنه الوحيد لبني الانسان.

إن الشيوعية ظنت أنها الوحيدة في هذا الكون العظيم التي تستطيع إرواء عطش الانسان ابد الدهر ، وقد فاتها وهي مدركة ذلك : أن الانسان خلقه الله وهو اعلم به إذ خلقه، ومن ثم ما الذي يصلح له وما الذي لا يصلح له .

وهنا يتحقق القول أن الشيوعية حين ردت وحاربت الكلام الإلهي ونبذت الأديان تستطيع العودة إلى الله والرجوع إليه وإبتعاء ما عنده ...

ولا يفوّت أنّ الإنسان مهما تكبر ومهما غالى وارتفع
ومهما تزعم وترأس وقد لا بد له من العودة إلى الله
والمصير إليه.

إن الشيوعيين في العصور المتأخرة ليسوا هم الوحيدين
الذين فرقوا بين الله ورسله ، وبين الله وعباده . فقد كان في
كل عصر من العصور المتقدمة أمثالهم . بيد أن صلة اليهود
باليهودية جعلها أشر ما عرف من شر وخراب ...
والشيوعيون أدركوا جنایتهم أولاً . ولكن لم يعودوا ..
هروباً من الواقع ومغالطة للنفس .. والحمد لله ..
فليذهب من ذهب إلى ما ذهب إليه، وفي الآخرين خير إن
عادوا إلى فطرتهم السليمة .

قفزات التَّطَوُّر: ونعني بذلك أنهم يريدون : أن لكل
شيء إنقلاباً مفاجئاً إلى ضده وذلك بفعل العوامل
الداخلية والتناقضات الذاتية .

فالبيضة مثلاً : تتفاعل القوى الداخلية المتناقضة
فيها ... حتى إذا وصلت إلى مرحلة خاصة انقلبت إلى

(١) وكذلك ثمر الموز والتفاح والبرتقال وكل الثمار .

الفرخة فجأة ، والماء إذا بلغت درجة الحرارة فيه إلى
مائة درجة يتتحول فجأة إلى بخار^(١) .

هذا الأصل يُعتبر من الأصول الأساسية في المذهب الشيوعي وتبنته الشيوعية المعاصرة لأنها رأت أنه من دعائم اثبات وجودها ومن مبررات صلاحية نظامها . ونحن نجزم أنها ليست منطقية ... وأجزم أيضاً بعد مطالعتي لأصول مذهب ماركس .. وإنجلز .. ولينين .. وماو . والردود على ذلك أنهم لم يخاطبوا إلا البسطاء من الناس .. إنهم يخاطبون أنساً لا يعلمون وفي الحق أن نظرة سريمة إلى هذا الأصل المعتبر عندهم تكفي لنقضه فضلاً عن أنه ليس لها وليس له ...

إننا أمام هذا الأصل الذي سنرى فيما بعد نقضه وتهاجمه ولا يمكن أن نزيد على ذكر أنه واهن لدرجة الموت ... لقد ظن الشيوعيون منذ القدم قبل ماركس تقريرياً الذي نشر اليهود اسمه أخيراً - أنهم يكتبون ويتحققون لأناس أقل منهم دراية ومعرفة للأمور - وظنوا أنهم علماء

وغيرهم بمنزلة المتبوع المقلد محجور الذهن والعقل... وهذا يعطينا أنهم في غرور زائدٍ أكيد... ولا جدال بين أحد من الناس أن الغرور مرض عقلي بالغ^(١) ويُشعر الغرور بنقص صاحبه فهو يحاول جاهداً ولو على حساب العقيدة أن يسد هذا النقص بمخالفة الواقع والصدود عن الحق ليشتهر بين الناس العوام.

إننا هنا يمكن بعد الذي قلناه أن ننتقد هذا الأصل أو هذا الرأي بما يأتي:

أولاً... إن الشيوعية لما رأت هذا الرأي الزمت أتباعها به وخيل إليها أنه لا يمكن معارضتها بحال... وهي كما يلاحظ قد تجاهلت العلم والتجربة وصدت عن ذلك.

ثانياً... إننا بالنظر إلى مثال البيضة التي تحولت إلى فرخة، والماء الذي تحول إلى بخار. يمكننا ببساطة أن نخالف هذا من أصله وذلك أن التناقضات الداخلية في البيضة وكذلك الماء ليست هي التي صيرت البيضة إلى فرخة والماء إلى بخار بل إن مرجع ذلك كله الحرارة الخارجية

(١) مفتاح دار السعادة: ج ١ ص ٦٥.

قدرة الله وحكمته . . . وقد علم من اقدم الأزمنة أن هذه الحرارة هي الأصل في ذلك ولا خلاف . . . ولكن بالرغم من كل هذا فإن المعاصرين الشيوعيين قد خالفوا ما اتفق عليه والذي صدقه الواقع في العصور المتأخرة حيث العلم والتجربة . . . وبهذا يتضح جلياً أن سبب الحركة والتطور ليس في التناقضات الداخلية كما جاء في هذا الأصل . بل من العوامل الخارجية .

ثالثاً . . أنه باستطاعة الإنسان أن يمنع من قفزات التطور وليس هذا بصعب فإن منع العوامل الخارجية المؤثرة على الظواهر، تؤثر ولا ريب في ايجاد هذه القفزات فلا تكون قفزات التطور . . . والحالة هذه قانوناً أساسياً في الطبيعة . . ولعل هذا يتحقق دون جدال تجربة الإنسان الواقعة هنا وهناك . ومن الممكن جداً تقرير هذا الرأي أو النظرية في محيط الناس . . . ومن هذا الطريق فإنه من الأنانية ادعاء هذا كشيء خاص لأناس مخصوصين . . . وحينئذٍ يُرى ولا ريب أنه قد صار من السهل دحر الشيوعية الماركسيّة من الأصل .

رابعاً . . كذلك في مجال النقاش في نقد آراء ونظريات

هذا المذهب نستطيع ايراد جملة من الصور الحسية التي تلزم هؤلاء القوم بالخجل على اقل التقادير من هذه الصور مثلاً : تدرج الجنين في بطن أمه ، ثم تدرجه بعد ظهوره من جنين إلى طفل الى شاب الى كهل الىشيخ كل ذلك يحدث بصورة تدريجية ، لا قفزات كما يدعون .

كذلك الأشجار والنباتات وما شاكل ذلك يتدرج من شيء اصغر الى شيء اكبر .. وهكذا في كل مخلوقات الله يمكن تطبيق ذلك ...

ولعل الأمر قد أصبح بعد تبلور الأحداث الجديدة من الظهور بمكان يصعب معه مناقشة هؤلاء من الشيوعيين في كل بقعة وموطن .. لأنهم هنا قد انكشفوا امام الناس وهم ولا جرم في انكشف سافر دائمًا فهم قد خالفوا العقل الذي يستدلون به وصادموا الفطرة التي يقولون إنها معنا في الدلالة على ما ذهبنا إليه .

قانون الإرتباط العام : والشيوعية المعاصرة تعنى بهذا في مجال التطبيق أن « كل جزء من أجزاء الطبيعة بما فيها الأحداث مرتبط بعضها ببعض ارتباطاً عضوياً بالاجزاء الأخرى ، وأن كل حدث إنما هو انفعال

لأحداث أخرى ، وأن هناك تأثيراً متقابلاً في اجزاء الطبيعة » .. « فلا يمكن أن تدرس الطبيعة حال فصل بعضها عن بعض وتجريد البعض عن ظروفه وشروطه وعما يرتبط بواقعه من ماض وحاضر » .

والشيوعيون كما جرت عادتهم يزعمون أنهم لم يُسبقوا في هذا ويغالون كذلك أنهم هم الذين قالوا بذلك قبل غيرهم من القائلين ... ونحن مع أننا ندرك جيداً أن الشيوعية يعلم أصحابها أنهم في هذا على خطأ كبير إلا أنه يقال في مثل هذه الحالة يحسن نقاشهم أولاً بصرف النظر عما إذا كانوا يعلمون أو لا يعلمون ، إذ أن هذا قد يجلب خيراً يحبه الله ورسوله . فقد يرى بعض المغلوبين على أمرهم خطأ هذه النظرية وتلاعب الشيوعيين فيدعوهم الى قبول الحق والدخول في الاسلام ... ولعلنا في مجال النقد نذكر أن الشيوعية في هذا الأصل قد سُبقت كما ذكرنا بقرون من الصعب تحديدها أو على الأقل معرفة العهد الذي كان ذلك فيه ... ولكن يكفي أنها سُبقت ونعني بهذا السبق السبق البشري الذي لم يعتمد على دين إطلاقاً ... وإلا فالقرآن والسنة بحمد الله قد بينا وحدة الكون والحياة والانسان ووضحا ذلك توضيحاً ما أتى قبله مثله ولن يأتي

بعده مثله . . . وهذه الوحدة التي بينها القرآن ودللت
عليها السنة تدل على خطأ الشيوعيين وغلطتهم التي لا
تعتبر، إن الإسلام لا ينهى الإنسان أن يحيث أو
يناقش . . . ولكن ينهى عن التعتن والتتعجيز المقصود من
ورائه مخالفة سن الكون فضلاً عن مجادلة الشيوعيين
وطريقتهم في «من خلق الكون». «ما سبب
الحروب»، «لماذا يختلف الناس في المال من حيث الغنى
والفقر».

كَيْف

ونقول هنا في معرض النقد لهذا الأصل . . . كيف يمكن
القول «بأن لل مجرات التي هي في حالة التكوين تأثيراً
على مصير قارة أفريقيا . . . كذلك كيف يمكن أن يقال
بأن لحركة الأسماك في المحيط الهندي تأثيراً على الإنسان
الموجود في تونس أو العراق».

ثم كيف يُدعى بأن لل مجرات تأثيراً مختلفاً : من مجرة إلى
 أخرى في حياة الناس . . . كذلك كيف يمكن وهذا غريب
 جداً أن يدعى أن للتحولات الاجتماعية في حياتها تأثيراً

على التحولات الاجتماعية في حياة الانسان في الأرض .

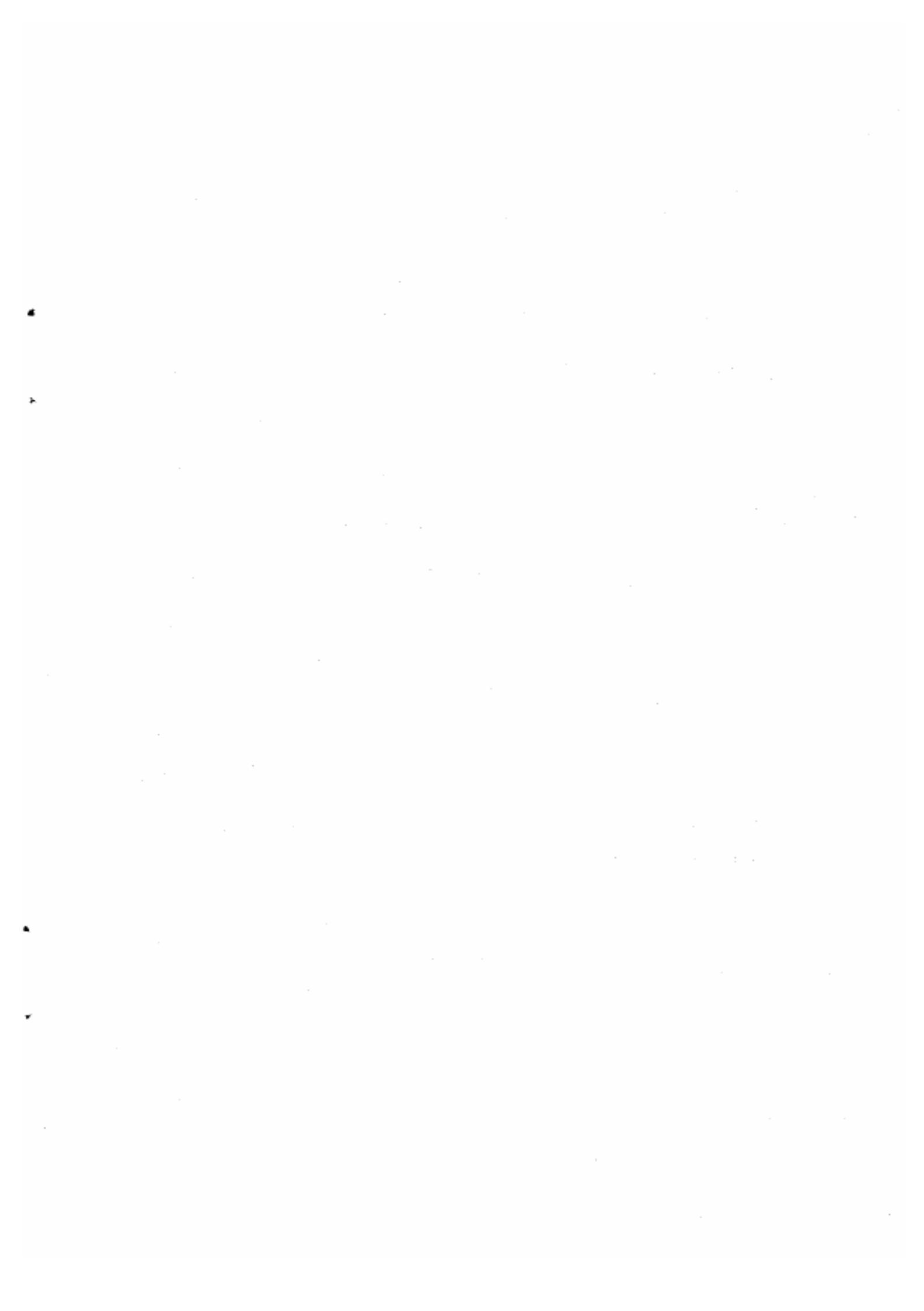
إن أصول الشيوعية قد اثبتت بنفسها الفشل وأدرك ذلك كثير من الذين عاشوا ردحاً من الزمن في حياضها إن العلم الذي تطور بعد موت زعماء هذا الفكر قد اثبت بجدارة، لا سخف الشيوعيين فحسب، بل حمق أصحابها إن الشيوعية في تبنيها للمنطق الديالكتيكي المهزوز جهلاً به إنما تبنته لأنها عرفته أحسن منطق يمكن أن يدر عليها ال�باء والسعادة ولو على حساب الآخرين ... والشيوعية حين بيّنت هذا المنطق وحاولت تشهيره بين البشرية عموماً إنما أرادت تبرير موقفها من الانسان والمجتمع والتاريخ ... ولكن قد خاب ظنها وبار موقفها فإن الذين درسوا الشيوعية وتفهموا عن دراية أخطارها المختلفة لا على الانسان وحده بل على الخيرات والمنافع بينما حقيقة الشيوعية كما لو كانت جبلاً منحازاً يراه كل عابر سبيل ومن هذا يُعرف مكمن الضرر والخطورة في ذلك المذهب الخطير الذي يوشك بمن الله وقدرته أن يزول من على وجه الأرض .

إن هذا الذي نقوله نؤكده ونصرُ عليه لأن الثقة بالله كبيرة .

الظروف الاقتصادية

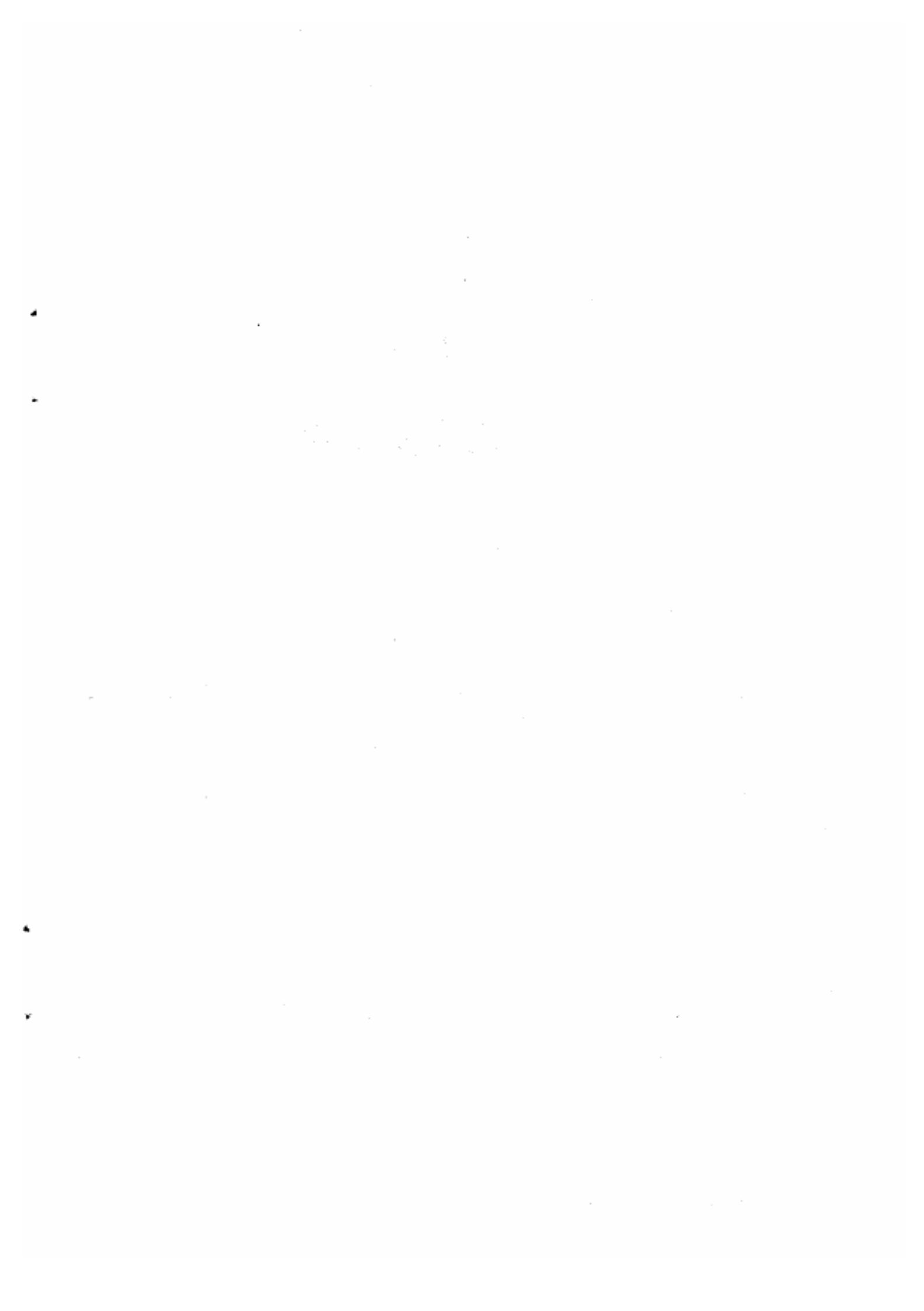
لعل البحث في نهاية هذا الأصل يتناول بطبيعته أمراً مفزعاً كثيراً ما يذكره الشيوعيون وكثيراً ما صدقهم بعض الناس واتخذوا قولهم هذا عين الصواب ومحط الآمال في الحياة وبعد الممات... ذلك أنهم يعللون ظهور الأديان السماوية وجودها بتفاعل اقتصادية بحثة فهم يقولون: «إن الظروف الاقتصادية هي التي سببت ظهور الأديان»، وهين علينا أن نقول بأن: «نفس تلك الظروف والفوائد المادية هي التي وجهت أفكار ماركس إلى تبني المنطق الديالكتيكي، أو النظرية المادية»^(١).

(١) الرأسمالية هي الأخرى شقيقة الاشتراكية. ما في ذلك شك عندي فهي كما مر هنا: نفس الظروف والفوائد المادية هي التي أوجت إلى قادتها وكتابتها في هذا العصر، وفي غيره من العصور بتبني المذهب الرأسمالي، فكريياً، واقتصادياً، واجتماعياً. وبخطيء جداً، أقول بخطيء من يظن أن الرأسمالية خطرها أخف من الشيوعية فنحن نعلم أن الكفر ملة واحدة وإن تفاوتت أضراره على بني الإنسان في هذه الحياة، ولهذا كماقلت إنه من الواجب على المفكرين أن يدركوا حقيقة الوضع في هذا الحين وأن لا يفوتهم أبداً خطر وضرر كل مذهب بصرف النظر عن اسمه ومساه.



(٥)

القسم الثاني



أصل التّطور : تبنت الشيوعية هذا الأصل وذلك لغرضٍ سيٌّ ولكنَّه على كل حال مُدرك تسهل معرفة سبب ذلك وأنَّه « تفسير المجتمع بكل أجزائه على أساس التطور حسب التناقضات الطبيعية الموجودة بداخله وذلك لكي تستنتج من هذا أن المجتمع الرأسمالي الذي لم تتمكن من السيطرة عليه نظراً إلى قيامه على أساس الكفاءات لا الانقلابات ينطوي على صراع الطبقات ... وأن هذا الصراع يؤدي بهذا المجتمع إلى التطور المفاجئ الذي يحل التناقض الرأسمالي لتنسلم الكراسي فيه الطبقة العاملة - [البروليتاريا] - ». لقد نزلت الشيوعية إلى درجة أنها كبلت العقول والأفكار وقيدت الحريات ... إنها في المجال الغير تطبيقي تغري ، وفي المجال التطبيقي

نار حامية ذاق حرارتها أناس معروفون^(١) لقد ظلت الشيوعية وهي ظالمة حين اتخذت الديالكتيك حقيقة مطلقة ولا نهاية للعالم . . . وفوق ذلك تعرّت حينما تبنته واعتبرته مذهبًا رسميًّا فوق كل بحث ونقاش واتخذه مرجعاً في كل فن وعلم .

إن الإنسان اليوم في معاقل القوم في نارٍ مروعٍ ي يريد الخلاص ولن يكون الخلاص ما لم يرجع الإنسان أصلاً إلى الله يسأله خائفاً راجياً .

التناقض التطوري : ولعله هنا يتضح أكثر من ذي قبل حقيقة الشيوعية في مخالفتها للمألوف ومحاولتها وضع العراقيل في طريق العابرين . . . إن الشيوعية حين تبنت هذا الأصل « تناقض التطور » لـتُغذِّي الشعوب بمحقِّد دفين داخلي ولا استخدامه في تطوير سياسي يكون لصالح الحزب المعين . . . إن الشيوعية تفتش عن القانون الصالح لها ثم تتبناه وبالتالي تجلب الأدلة ليُقبل مهما كان الطريق . . . إن الشيوعية تبدو حتى الآن وحشاً مفترساً

(١) منهم: أندريله جيد، وستيفن سيندر، ولويس فيشر، وآرثر كسلر، وأجنازيون سيلون، وريتشارد رايت.

لا يقبل ولا يحاول أن يقبل... إن المسلم ليعجب كثيراً من ذلك... إن التاريخ الإسلامي تحدث بكثرة عن شرور ظهرت في ديار الإسلام وكذلك التواريخ العالمية... ولكن من الصعب أن يكون شرًا مثل هذا الشر الأخير... إني استغرب حينما أقرأ أخباراً عن أفعالهم وياخذني من ذلك دوار... والحقيقة أنه لا يمكن مقارنة الشيوعية بغيرها ولكن الذي يمكن ونقوله كيف كان تسرّبها إلى ديار المسلمين.

إن الجواب مطلوب من القارئ على كل حال إن عليه أن يبحث ويقرأ ويسأل ولن يكون الجواب بعد ذلك بعيد المنال.

قفزات التطور: إذا أدركت الشيوعية أن شيئاً ما يوصلها إلى غايتها فلا جرم ترتكبه، ولما رأت «أن الشيء الوحيد الذي يحقق لها السيطرة السياسية هو الانقلاب اخترعت قانون «قفزات التطور»، ذلك القانون القائل بتحولات دفعية للكمية الى الكيفية وعلى هذا الأساس لم يعد الانقلاب جائزاً فحسب بل ضروريًا وحتمياً أيضاً».

يقول لينين: «إن الثورة البروليتارية غير ممكنة بدون

تحطيم جهاز الدولة البرجوازية بالعنف «^(١)

ويقول الجلز : «الثورة هي أشد قوالب البطش عبئاً برواسخ الميراث القومي وحين يتراجع هذا الميراث أمام العمل الثوري فسيملك الاشتراكيون المقدرة على استبدال الميراث القديم بنماذج اشتراكية يسهل رواجها بالعنف تارة وبالدعوة تارة أخرى . ومهما انحط مستوى الحياة القومية في هذا الوضع فلا خوف على الحركة الاشتراكية طالما أن قيادتها تتعمد وتنشط لترويج الاسطورة الثورية باسم الصالح العام ... إن زوال رواسب الميراث القومي القديم سيترك الجماهير بلا مرفاً للنجاة ، سوى ما تسعفهم به القيادة الاشتراكية من خطة و برنامج »^(٢)

قانون الإرتباط العام : لقد تبنت الشيوعية أو الاشتراكية المعاصرة هذا الأصل لأمور قد يحار المرء العاقل منها ويتعجب من كيفية هذا التبني لهذا الأصل المهم بالنسبة لهم ... لقد تبنته هذه الأمور :

أولاً : ربط حركات التحرير بعضها ببعض حتى تشكل

(١) الأسس اللينينية.

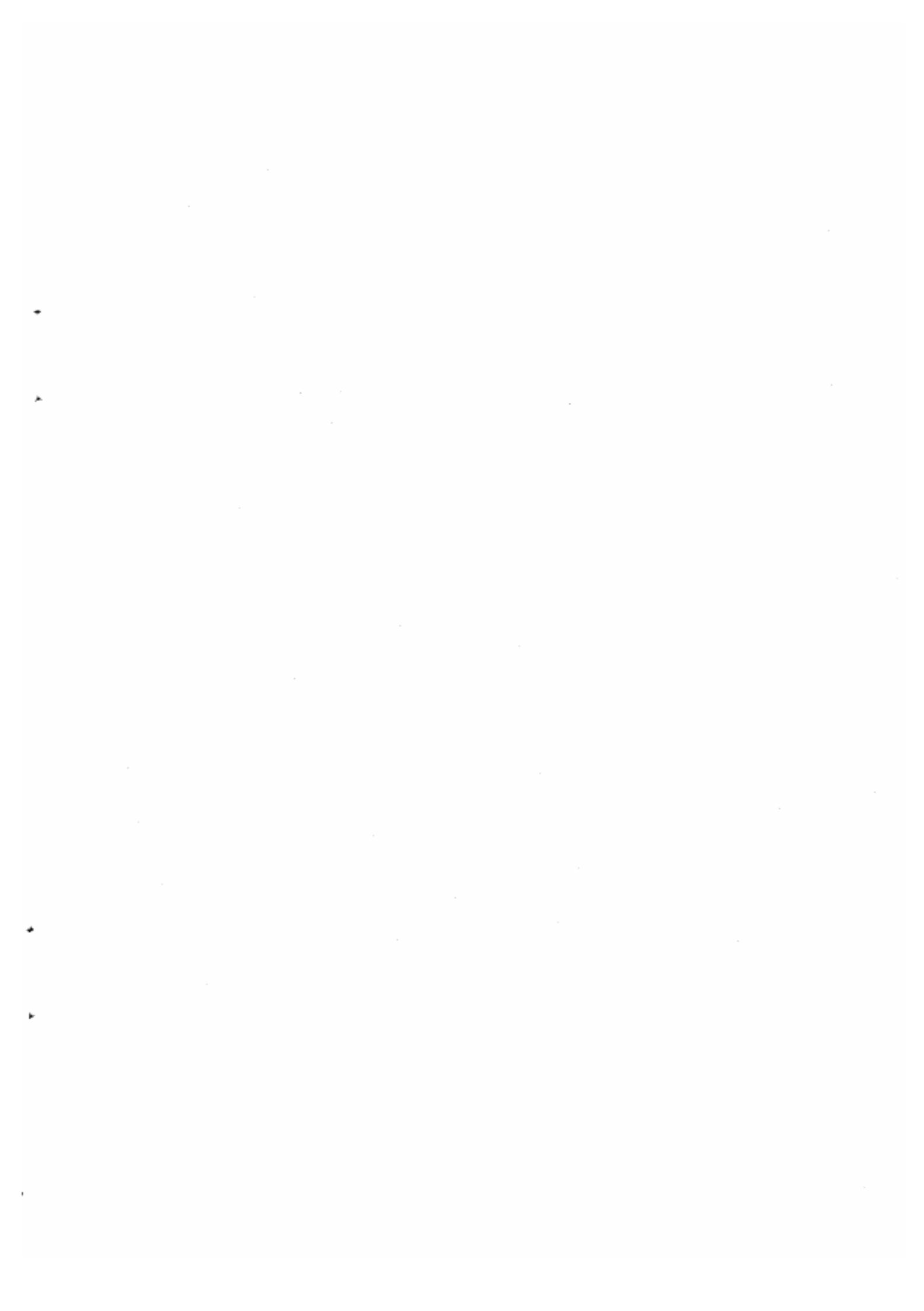
(٢) البلاغ : ص ٤١ .

وحدة نضالية تستطيع الشيوعية عن طريقها السيطرة على الأرض سيطرة تامة شاملة.

ثانياً: تزييف الأديان بحجج أنها إنعكاسات ظروف معيشية معينة ولا حاجة إليها بعد اليوم.

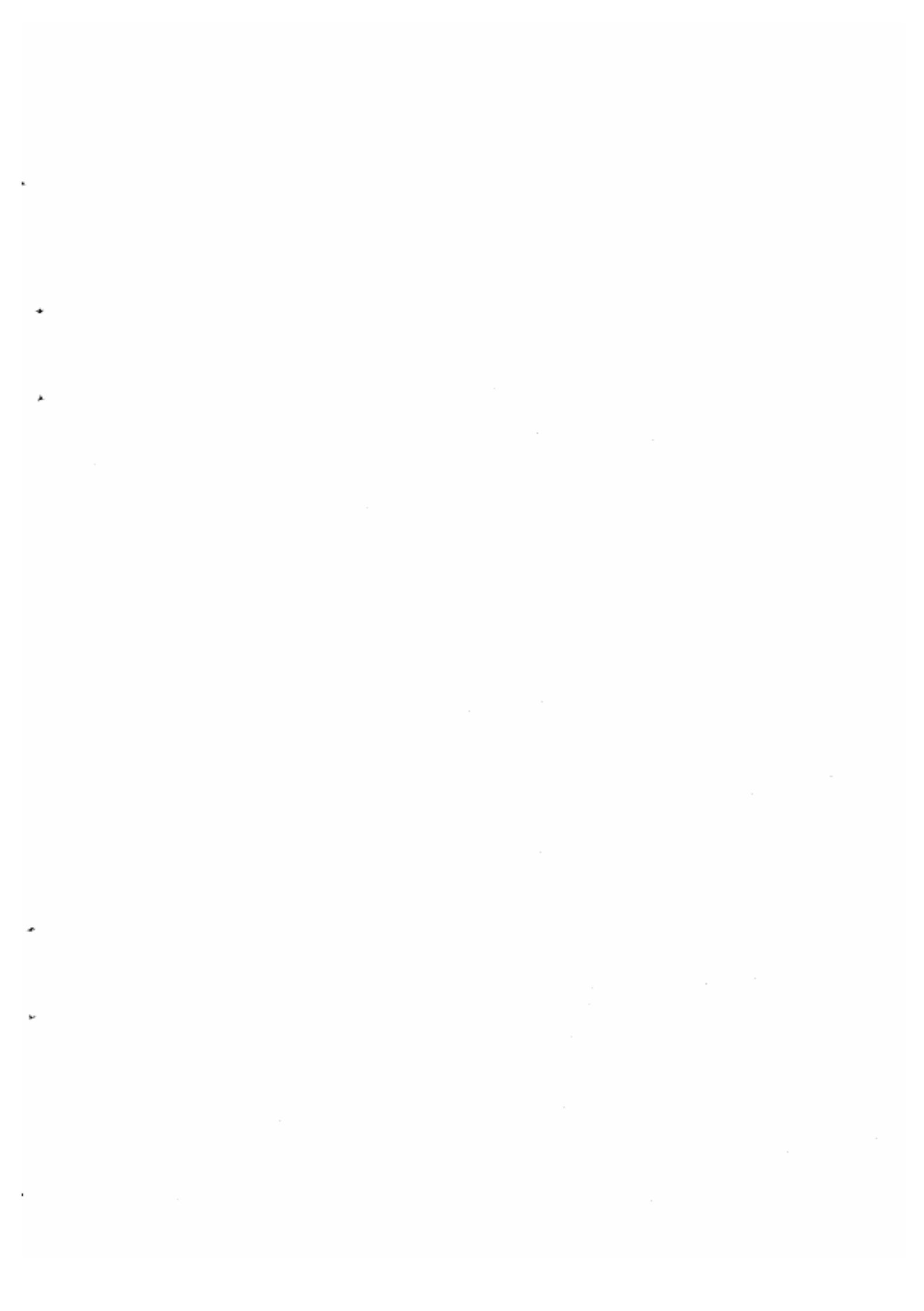
ثالثاً: إيجاد الثورات بين جميع الطبقات حتى تستوي الأرض من دماء الاغنياء ويشترك في كل شيء.

رابعاً: - حرية الإنسان وعدم تفكيره بخالق يراقبه ويحاسبه - إن الشيوعية هكذا تقول وهذا تبنت هذا الأصل وتزعم أنها خير وأنها بركة وأنها رحمة... وهي لم تحل مشاكل نفسها... لقد دهورت الفكر وعطلت العقل وكبلت اليد فهل لأحدٍ بعد هذا من خلاص...؟ إنه يصعب جداً على الشيوعيين أعني الذين يجهلون حقيقة الشيوعية وهم فيها يصعب عليهم معرفة الخطر... وما داموا يعيشون في ظل الفكرة والمذهب والاعجاب فأنهم لن يتمكنوا من التعمق والنظر الدقيق للحكم المنصف وقد جرت العادة وقالوا في الأمثال: «إن الاعجاب يعمي ويصم»: إنها حقيقة أرجو أن لا تناقش والعود أحمد.



(٦)

حاجة الفكر الإسلامي إلى النقد
مواجهة المذاهب المدamaة



النقد في مجال الفكر الإسلامي المعاصر يحتاج إلى رجال مُتضلعين قصروا دراستهم عليه ، وتمكنوا من معرفة ما يعتريه من أمور لا بد منها في هذا المجال الحيوي المهم .

والنقد أمر مجزوم بفائدته ومقطوع بدوره في بناء ما اعوج من قضايا ودراسات وهذا في الوضع الراهن والعصر الأخير . لا بد من نقد ، ولا بد من أمرٍ منتقد ، ولا بد من علماء من كلا الطرفين . . . وما لم تتوافر جهود الدارسين في الفكر الإسلامي فإننا نلقي صعوبة لا نظير لها فيما مضى من زمان . . . وحاجتنا الى النقد اكبر من حاجتنا الى غيره لأن الوضع يستدعي هذا من باب أولي ويلح في طلبه ويدعو إليه . . . وتفصيل القول فيما يمكن أن يقال في محيط الفكر الحديث . . . أن كثيراً من العلوم لم تكتب بعد ولم يتخصص لها علماء حتى هذا الحين . . .

فالنار يخ مدون ومكتوب لا شك في ذلك إلا أنه يحتاج الى صياغة وكتابة من جديد .

والأدب بنوعيه الإسلامي والعربي البحث ، لم يكتب ، والثقافة والاقتصاد على العموم كل هذا يتطلب القيام بجهود جبارة تقوم عليه ولا تدبر عنه وما تدبر عنه حتى تعود إليه ، بذلك يمكن إيجاد فكر إسلامي مستقل له تصوره ونظرته نحو الإنسان والكون والحياة ... ومتى ما استقل الفكر الإسلامي أصبح المسلمين بإذن الله قيمة عالية يقلدهم غيرهم ويقتبس منهم كذلك بل يُسلم كثيرون . إن هذا الكلام الذي نسوقه الآن يقودنا الى نتيجة واحدة تظهر من خلال ما سبق من إيجاد في ذلك المجال وهو أن الفكر الإسلامي لما لم يكن متخصصاً ولما لم يكن له علماؤه إلا في القليل النادر فإن من نتائج هذا الخلل في الفكر الإسلامي أن انتشرت المذاهب الهدامة ، وتسربت الى الدخول في عقر دار الاسلام وانتشر هذا بين الشباب لأنها لم تجد من يقاومها أو يقوم عليها بنقد علمي جاد .

ولست أنكر ما قدمه بعض المفكرين المسلمين من

دراسات طيبة ونقد رفيع، إلا أن هذا لا يغنى في الرد على المذاهب المتأخرة... وخاصة الشيوعية التي استندت على بحوث علمية هائلة صعبة الأسلوب مقرونة بأمثلة ودلائل تغرى الكثير من لم يكن له الحظ الأوفر من الاطلاع على كتب السلف الصادقين والمعاصرين المدركين إن دراسات : المودودي والندوبي ومالك بن نبي ومحمد البهري ومحمد محمد حسين وعماد الدين خليل هذه الدراسات التي قدمها هؤلاء وغيرهم لا جرم فعلت ما لم يكن في الحسبان من تقديم جهاد عظيم رد كثيراً من الأفكار والأراء الواردة... بيد أني أريد أن نقوم لا بعملٍ مبتورٍ بل بعملٍ متكملاً يوحى بقوّة المعرفة وإدراك أسباب انتشار المذاهب ، ومن ثم دراسة ما يمكن دراسته للرد والنقاش حتى نتمكن في خلال مدة قصيرة أن ننتقد ونعمل بطلان غير ما جاء به الإسلام في الحياة وبعد الممات ...

إن الذي قدم حتى الآن اعتبره أنا بداية توحّي إنشاء الله ببداية متكاملة تقوم أولاً بدراسة الإسلام واحكامه من كتبه الصافية الأولى : (الكتاب والسنّة وكتب

السلف) ومن ثم دراسة أوضاع البشر وما تحتاج إليه الإنسانية .

إننا نعاصر الشيوعية بل الجاهلية وننتقدها ونرد عليها ونجتهد في ذلك ونبذل أثمن الأوقات وهذا جهد المقل وما يستطيعه المرء بالنسبة إلى عمره المحدود ووقته المحدود ... ولكن كل ذلك أراه غير نافع في مجال إزالة ما تقوم عليه الشيوعية وما تعتمد عليه من قوى ومواهب وإمكانيات وليتنا درسنا ما قام به ماركس والجلز ولينين وستالين وما وبر جنيف من جهود وتعليمات ولو درسنا ذلك لتمكننا إذاً من الوقوف على سر انتشار هذا المذهب الخطير الذي نالته الشيوعية في وقتٍ قريب .

لقد أخلصوا وتخصصوا وضحوا من أجل سيادة هذا النظام وتقريره وتطبيقه في واقع الحال وواقع المقال ... ونحن أزاء هذا لم نقم بشيء يُذكر ولم نتخصص في المجال النبدي الخاص .

وفي حياة ابن تيمية وابن القيم والأئمة من قبل ومن بعد خير معين على ما نقول وندعوا إليه ... لقد تفنن أئمة هذا الدين بشتى العلوم وأدركوا علوماً لم يدركها أهلها فأتوا

بعملٍ كبيرٍ سد ثلّمة بقيت مسدودة وستدوم ونقد المذهب الشيوعي إذا أردنا نقاده وتحليل فشله في التطبيق وتسويير دفة الحياة لحتاج إلى أن نقوم بعملٍ كبير قد تنقضى آجالنا ونحن بعد لم نصل إلى ما نريده من مراد . . . ونكون في هذا قد رسمنا الطريق للجيل الآتي لكي يقوم بمواصلة الطريق إلى نهاية المطاف .

والأمل كبير في الأجيال المقبلة إذا هي قامت بالمطلوب من دراسة المشكلة والأسباب والحلول وأفضل الحلول . . . إتنا في الحق ونقول ما فات بحاجة إلى النقد المقوم للأعمال . . . إن الدراسات الإسلامية تزيد من يضعها في الميزان ويقومها ويقوم عليها .

لقد كان الفكر الشيوعي في أول أمره خاملاً لم يتعد حدوده ولم يتمكن من التطبيق إلا بالقوة والقتل والتعذيب . . ولكن في المدة الأخيرة وحين قامت الدراسات العلمية والدعائية الكبيرة تسلل إلى بقعٍ لم نكن نظن أنه يصل إليها وما زال الشيوعيون يقومون بأبشع الجرائم وابشع أنواع التعذيب وبال مقابل يقوم غيرهم من كبار علمائهم إلى التأليف وتدوين البحوث . . .

وهذان أمران يتعاضدان في توسيع الكتلة الشيوعية في العالم ... وهذا يدعونا أن نكون أكبر منهم في مجال التأليف بعد النقد العلمي والعمل على نطاق واسع كبير ... وبهذا كله نتمكن من تكوين أمة مستقلة لها مميزاتها التي كانت لها في عصرها القديم .

ولعلني لا أخالف قول القائلين بأن العالم الإسلامي يتوجه الآن نحو وعي إسلامي متقدم ... وأنا أقول كل هذا حقيقة لا جدال فيها بين المطلعين على أحوال العالم ... وإن كنت في خلاف فإنما يمكن خلاف .. هل أدينا الواجب المطلوب وبذلنا جهودنا الأكيد تجاه المذاهب المعاصرة ...؟

إنني أافق ولكنني أخالف وموافقتي وخلافي يأتيان بعد نظر ودراسة .

وأخيراً .. فإن الناظر إلى الدراسات الإسلامية وحاجتها إلى النقد يرى قصوراً ... وليس القصور مرجعه إلى العلماء السابق ذكرهم ... وإنما يأتي القصور من عدم التفرغ والتخصص من قبل المترغبين وإلا

فالذين أدوا دورهم قد أدوه... وهذا وحده يكفي في تعلييل التقصير.

إن النقد المتجدد في كل مجال مطلوب وهو في مجال دراسات الإسلام ألزم من كل لازم ، لأن الحاجة إليه تأتي في المقدمة لتكشف المراد من كل ما هو مطلوب ... ونعني بالنقד تقييم هذه الدراسات ووضعها في مكانها الصحيح ونعني بالنقד تصحيح الخطأ مما هو خطأ وبيان الصواب مما هو صواب ... وليس النقد الإسلامي للدراسات الإسلامية يُراد به التجريح أو بث الوهن وتضعيف قيمة أي كتاب ... وإن كان كذلك فلا يُعتبر هذا من النقد في شيء والقول بأن النقد يجب أن يكون حين تتوفر وتكامل الدراسات هذا القول له وجاهته إلى حد ما ، بيد أن هذا يعطل أو يعرقل مسيرة تلك الدراسات إذ يجب أن يسير النقد جنباً إلى جنب حتى يمكن تقويم الأعمال ووزن الدراسات المختلفة قبل أن تسير في طريق يصعب معه النقد ويتعسر مجاله في رفع القيمة ووزن النتاج .

ولقد حدث في أوائل القرن الرابع عشر الهجري

العشرين ميلادي أن قام باحث شيوعي فكتب مقالات جمعها في كتاب مستقل ولما كان الكتاب يدور حول مسألة أهمية الاقتصاد فقد اهمل نظرية الفكر الشيوعي نحو الإنسان وطبيعة عمله في ذلك الفكر ... وحين انتشر هذا الكتاب وسار خبره لم يفت علماء الشيوعية دراسته ووضعه في مكانه اللائق به بين كل الدراسات .. وكانت النتيجة أن ظهر بعد عام ونصف تقريباً كتاب جديد ينتقده من وجهة نظر أنه كتاب يفقد التكامل والدراسة الموجبة لظهوره وذريوعه بين الناس ... ولما كان ذلك المؤلف الأول مُخلصاً للشيوعية فقد استدرك الأمر وفي طبعة تالية عدل فيه وأضاف إليه الأمر الذي جعله أكثر قبولاً من ذي قبل خاصة لدى كبار المثقفين ... وتلك كانت نتيجة النقد التي أسهمت بهذا الدور الفعال .

ولعل هذا المثل يكفي في التعليل بلزوم وجود النقد الإسلامي لل الفكر الإسلامي الصحيح ... ولعله أيضاً يدل على أن النقد مقوم للاعمال ومصحح لما يجب تصحيحة ... ولا يعني هذا أنني أدعو إلى النقد ونحن في حالة عصبية ليس نجد الوقت الكافي حتى يمكن إيجاد

النقد ، أو أنتا في أول الطريق وأول المسار . . . بل يعني إيجاد الدافع القوي للدراسات الإسلامية الجادة وحسبي من هذا أني أراه وجباً في حال نحن أشد فيها من أي حال .

وتوديع الكلام في هذا هو أنه لا بد من نقد يكون الناقد فيه على جانب كبير من سعة الصدر ومارسة النقد الجزئي أولاً بأول ولا بد للناقد من معرفة لقواعد النقد في الأدب الإسلامي والتاريخ وعليه أن يكون واسع الأفق لديه حصيلة من الادراك والذكاء وحسن التصور^(١) .

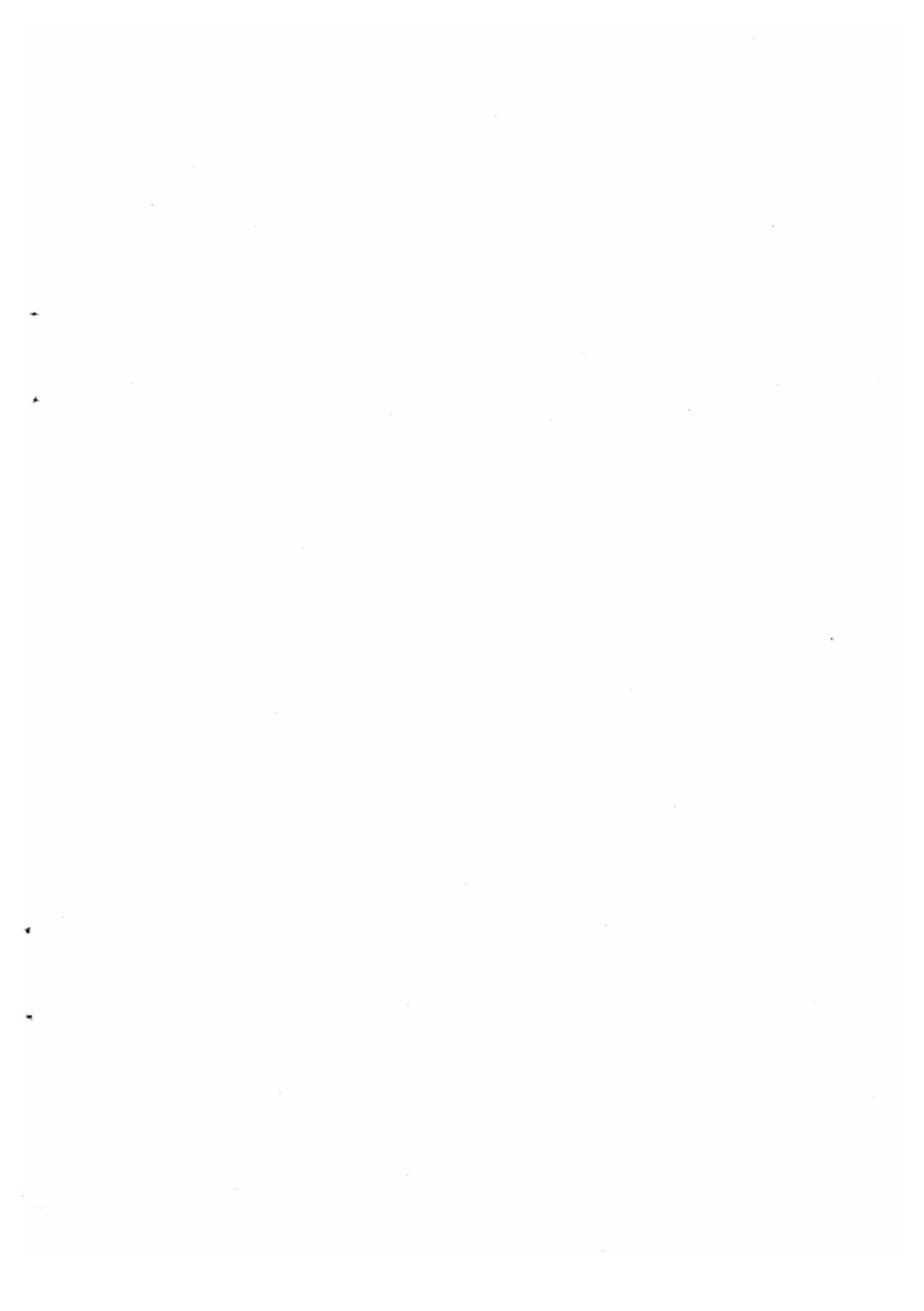
ولعله بهذا كله يستطيع أن يدخل معركة النقد بشقة تامة ليتمكن من نقه كل ما هو صالح جاد ، ونحن نعلم أن ممارسة السب والقبح ليس بشيء إذ من شأنه إثارة حفيظة المنتقد . . بفتح القاف . . ونحن نهيب بكل الكتاب المسلمين وحتى المتخصصين منهم أن يمارسوا

(١) يحسن بالناقد المسلم أن يكون مرتواياً من كتب العقيدة راجعاً في ذلك إلى الكتاب والسنة ، وأن يطلع على كتب النقد في الأدب العربي الحديث والقديم للإستفادة ، ويحسن به أيضاً أن يكون نقه وانتقاده كلياً وأن يكون صريحاً متأكداً من حقيقة قوله : وأن لا يكون صاحب هوى أو ميل .

النقد الموضوعي وتحديد المراد والتركيز على أصل الاصول في هذا الدين العظيم، وليس من الطيب أبداً نقاش الفروع والتحمس لها ما دام المنتقد قد خالف في أصل أو فرع يقرب منه ، وإن أملتى ل الكبير جداً فيما أقول فعسى أن يكون ثم عسى أن يكون .

(٧)

إتفاق السبيل باطنًا



تحتاك الأحداث بعضها ببعض وتفاعل بقدرة الله وتقوم بدورها في مجال الحياة... وتتغير الأحداث ويتغير التفاعل ولا يكون ثمة التقاء أو تقارب فيما بينها وبين...

وفي النادر من المشاهد أمام العيان أن تتحد أحداث متفرقة لتؤدي عملاً واحداً تكون النتيجة لصالح هذا الاتحاد وذلك التقارب... وحروب اليونان وفارس والروم من قبل والعرب من بعد لم يكن بين فريق وفريق تقارب أو التقاء، وكل الذي كان مجرد تفرقة عريضة أدت أكبر النتائج في الحروب بين بني الإنسان... ولم يدون التاريخ حسب ما اطلعنا عليه أن هناك كان التقارب في تلك العصور الموجلة في القدم، ولعل الباحث حينما يعلل تلك الأعمال يجد أن الصالح المشترك مفقود وليس من

صالح يدعو إلى اجتماع الخصوم على هدف معلوم يعود بالنفع العميم على الجميع ، ومرجع هذا على عموم المدون في كتب الأقدمين أنه لما لم يكن لهم عقيدة أو صالح مشترك لم يكن ثمة اشتراك بل كان التناحر والتبعاد وهذا هو المتوقع في أمة تفقد العقيدة الرابطة بين المتباعددين . صحيح ما قيل من التحالف والوعيد والميثاق بين بعض قبائل العرب ولكن هذا كله غير مشروط و دائم لأن الحلف بشرى يوقعه نفر عن نفر وقد لا يكون عن رضا لأن الذي يقوم به عليه القوم من كل قبيلة وهذا لا يجعلنا نقول بالتقارب في ذلك الحين ، وإن قلنا به فهو من باب أقل الشيء الذي يكون أو لا يكون .

إن الهدف إذا كان يحقق غاية واحدة للجميع فهو وإن اختلفت السبل المؤدية إليه لا جرم يكون جاماً لكل تفرق واختلاف ، إن التناحر الموجود اليوم بين أغلب المذاهب البشرية التي زخرت بها حياة الإنسان لا يعني عدم توحدها في الغاية بل إن الرجل قادر على سبر غور الأمور فيما يتصل بطبع الأشياء يدرك حقيقة التوحد والاتفاق في المذاهب المعاصرة ... لقد قيل إن العداء

قائم على أشدّه بين الكتلتين الشيوعية والرأسمالية وقيل كذلك إنه قائم بين أغلب المذاهب ولعل هذا القول لم يقل إلا بعد دراسة ومقارنة صادقة بين طبيعة المذاهب كلها.

وصحّح أننا نسمع ونقرأ عن ذلك البون الشاسع بين الشرق والغرب وأحياناً نسمع بالتفرق بينهما أو نسمع بمبادئ اشتغال الحرب إلا أن هذا الأمر وكما يبدو لواسع الاطلاع المدرك لحقائق الأشياء وطبيعتها ليس إلا تمويه مركز للوصول إلى القضاء على هذا الدين الذي قاوم ويقاوم كل كتل الأرض، إن الإسلام هو الفريسة لكل صراع يقوم، ويقال أن نسمع أن غير الإسلام هو المطلوب... لقد ظن الناس أن الانطلاق من الإسلام حرية وأن التجرد منه عين الرقي والحضارة وأن الانفكاك من تعاليمه ذروة التمدن ولم يعلم هؤلاء أن الإسلام هو المطلق للقيود وهو الرافع لبني الإنسان إن الجهل بالإسلام أو التعويل على تعاليم غير تعاليمه كل هذا يولد نفوراً كبيراً لدى جمهرة الناس... إن أغلب القراء في العصر الراهن تنكبوا الجادة وحددوا عن طريق الصواب بدعوى أن الإسلام لا يفسح مجال التفكير

والقول في كل شأن... لقد انحرف هؤلاء وهم أحرى بالانحراف من سواهم... إن هذا التعليل يبطله القرآن الأمر بالتفكير والسعى والجد والاجتهد ويبطله ما نعمت به الإنسانية مما أتى به الإسلام من خيرات عظيمة ونعم كثيرة بقيت مورداً كل فريق من هنا وهناك إن الإنسان حين يحكم عقله ويخلو بنفسه ويحاسبها ويورد عليها القول في كل شأن من شؤون الحياة يجد انعطافاً قوياً نحو ما في داخله من فطرة دينية ومن ثم تتغير أحوال هذا الإنسان... إنه بمجرد ما يطلب الحقيقة ويسعى صادقاً إليها فإنه ولا محيد سوف يرى بعين قلبه كل ما هو حق وصواب لقد حَكِمَ الإنسان هواه ونظر بعين ظاهرة إلى أشياء ظاهرة ومن ثم سقط هذا الإنسان في بئر يصعب عليه منها الصعود.

لقد استغلت الشيوعية ضياع الإنسان في هذا العصر وقامت بدراسات مختلفة في كل مجال ، مجال النفس والاقتصاد والتاريخ والأدب والفن لكي تعرف وتدرس النفسيات ومن ثم تجر إليها كل ضائع لا يهتدى إلى رشاد . إن أكثر العلوم الإنسانية قد استهوت جملة من الناس

ودعت إلى نفسها أكثر من فريق ونادت إلى النظر فيها الأغلب خاصة الذين لم يكن لديهم قوة تمنع كل ما هو زائف وباطل من العلوم المتأخرة . إن الشيوعية وجماها من أسماء متعددة مختلفة قد داشرت العقل البشري ونالـ منه قدرأً كبيراً مما دعا جملة من المفكرين المسلمين أن يغتروا بهذا المذهب ويرون أنه من الإسلام

إن الهدف الذي تسعى إليه الشيوعية من جهة الرأسمالية من جهة أخرى قد تحقق عن طريق بعض الكتاب والباحثين الذين اعتمدوا على فهمهم المجرد في قبول ما ظهر من مذاهب في العصر الحديث . . . ولو أهملوا إلى الكتاب والسنة لكان عليهم الوقف على كل ما هو حق مما هو باطل .

إنني لا أجد عذراً للمفكرين الإسلاميين ولا أجد مبرراً لهم في قبول ما قبلوه أو قالوه أو حسنوه على أقل تقدير ... إن الغزو المدروس من قبل الكتلتين بشأن الإسلام يرده ويقويه هذا السيل الجارف من قبل بعض المفكرين الإسلاميين الذين أدخلوا في الإسلام ما ليس منه .

إن النظامين الشيوعي والرأسمالي قد حققا الغاية من وراء كل سبيل مختلف... إن الهدف إذا كان هو الإسلام فلا خير في عمل العجب للوصول إليه. إن كل جهة تعمل كل ذلك من أجل بلبلة عقل المسلم وزعزعته.

إن الحرب مدرورة ومحطط لها بطريق معلوم... لقد دخل الفكر الشيوعي التاريخ والأدب والفن والمجتمع والاقتصاد والسياسة ولم يبق علم إلا وللشيوعية فيه النصيب المعلوم، وإذا كان من المعلوم لدارس التاريخ والأحداث أن اليهود وراء الشيوعية فإن هذا يُضيف صعوبة في مطلب هدم هذا المذهب النحس.

إن الفكر الشيوعي اعتمد على العلم ودخل فيه وأخضعه لقواعده بأساليب رفيعة وأدلة فائقة... إن الحرب لم تعد حرب سلاح بقدر ما هي حرب فكر... إن السلاح يُعبر ويُخضع ولكن العلم يُقنع ويُعجب وهذه بلية العصر الحديث... إن الإسلام هو محطة النظر وراء كل عمل مدروس ولم تفعل الشيوعية هذا الفعل إلا لما علمته مما في الإسلام من قوة وصلابة... فهل يبقى الفكر الإسلامي في عطل أو في بداية الطريق...؟ إن الفرق

بين الفكر الشيوعي والإسلامي هو أن الأول له من يحميه وينصره ويمده بكل يديه ومال وهذا سر النجاح أو بعض سره على ما هو مدون ومعلوم ، إن الفكر الإسلامي عظيم في تلبيته لحاجة الإنسان وفي إيضاح السبيل والغاية من وراء الحياة ... ولكن هذا يحتاج إن كان بحاجة إلى نشر دائم مستمر عن طريق المسلمين في شتى الميادين ... إن إبراز الفكر الإسلامي وتدوينه ونشره كفييل برد الإنسان إلى ما أراد الله ورسوله ... ولعل إشكال المعرفة في الفكر الإسلامي كله هو أن الذين يكتبون عنه أناس ليس لهم معرفة كبيرة بأصول وفروع دين الإسلام ... إن أكثر مفكري الإسلام الذين برزوا إلى ساحة الفكر يحتاجون أنفسهم إلى عودة إلى كتب الأولين الأعلام ومن ثم يهون عليهم المشكل ولا يحتاجون إلى زيادة بيان ... إن الخطر يكمن في أن الفكر الإسلامي دخل فيه من لا يُحسن أو يُحسن ولكنه أساء إليه ... إن عبد الحميد جودة السحار وعبد الرحمن الشرقاوي وتوفيق الحكيم ورجاء النقاش وأحمد زكي وساطع الخصري وأمثالهم لم يقدموا الإسلام على حقيقته بل إن

ساطع المصري خرج من الدين بكتابه «العروبة أولاً». والكل قدموا الإسلام بشكل يرفضه الدين من كل الوجوه وخاصة رجاء النقاش الناقد المعروف وهذا مُراد الشيوعية التي ت يريد ستر ما في هذا الدين من أصلية وجودة ومسيرة للإنسان في شتى العصور. إن الحروب الظاهرة للعيان وما يُقدم في هذا العصر من مناوشات ليست إلا من الأمور المغطية لعظيم ما تسعى الشيوعية إليه من الحكم العام المطلق في بلدان المسلمين... وذلك عن طريق الفكر الحر وبث الشكوك والتناقضات في الفكر الإسلامي على يد الكتاب والصحفيين الذين رضوا لأنفسهم بالتبعية لمن هو أقل منهم في الإدراك لو كان هناك الإدراك... والحقيقة أن النسبة لا محل لها في موازنة الأفكار البشرية بالفكر الإسلامي الأصيل المأخذ من الكتاب والسنة... إن عقل الإنسان محدود ومعطياته معلومة وإمكانياته قاصرة... ومن نقص الموازنة في الموازين أن يجعل الفكر الإسلامي الحق بجانب الفكر الإنساني... فليس للإنسان مهما كان ومهما وصل إلا الإسلام... والانسان مهما بلغ طموحه ومرتقاه فله حد محدود من كل طموح ومرتقى والإسلام بحمد الله

يغذي الطموح ويدفع إلى الرقي الأمثل المعلوم... ولعل المجال لو أفسح للفكر الإسلامي وقام عليه علماء مدركون لأمكن أن يكون الوضع بخلاف ما هو عليه الآن ولعلنا لا نحتاج في هذا إلى معول من شاهد أو دليل. إن الإسلام يُحارب والخطر على الإنسان ولو تعقلت الإنسانية وكانت أكثر تفهماً ودرست الأمور وزنتها بميزان القرآن وسارت على هديه وإرشاده لأمكن الرجوع إلى الإسلام... إن العلماء الذين أسلموا وأشروا إسلامهم لهم بقية باقية لم يصل إليهم الإسلام إلا وفيه تشويش. إن الإسلام حين يكتب عنه مخلص جاهم أو مجتهد مخطيء يجب عليه أن يكون ذا عقل يعرض إنتاجه على العارفين، وأخشى ما تخشاه الشيوعية أو أي نظام آخر يكمن في انطلاق الإسلام في إطار صادق سليم ينبع من القرآن والسنة... ولذلك فإن الأنظمة تحاول جاهدة أن تحول بين الإنسان والإسلام مهما كان ثمن هذا السبيل. إن الإسلام محصور بين هاتين الكتلتين وموقعه عظيم بالنسبة لأنطلاقه ولكنه في حرج كبير من أعدائه وأهله... فأعداؤه يحاربونه لا يفترون - وأهله يُسيؤون إليه - وهذه في نظري محنّة قل

أن يوجد لها أي مثيل فيما سلف من عصور .

إن المراد من كل ما هو مراد من وراء الحروب الفكرية بين أنظمة الإنسان اليوم هو اقتناص القدر الكبير من المسلمين خاصة الذين لهم وزنهم لكي يسروا على أكتافهم لاحتلال هذا الدين وتغييره ومسخ معاله وهذا مكمن الداء الذي ليس له علاج إلا في التمسك في الإسلام ... إننا حين نريد إيقاف الخطر من قبل أي نظام لا يحتاج هذا منا إلى مشقة بل إننا نحتاج إلى الفهم والوعي والإدراك والإخلاص والبذل وأن يكون بجانب هذا كله حماية معنوية ومادية تケفل المسير . إن الحماية مطلوبة إذا توفر العلماء العاملون المخلصون ، والإسلام لا يحتاج إلى من يدفعه فهو بطبيعته مدفوع ونظرة واحدة إلى الفكر الشيوعي تعطينا أصدق الصور عليه فلو أن الفكر كان مجاله دون قوة تحميته ، لرأينا للشيوعية أكثر القبور ولما رأينا وبالتالي هذا التوسع الكبير ... وذلك لأن الفكر مجرد لا يمكن أن يسير هذا السير بقليل من السنين ... إن الفكر الشيوعي وجد من يحميه من رجال

لهم الصولة في مجال الأمر والنهي وفي مجال النشر والدبيوع ... ولا يخفى أن الفكر الإسلامي فيه خصائص ليست في الفكر الشيوعي وفيه قوة لا توجد في غيره دون نزاع وإذا علمنا أن الفكر الإسلامي مستمد من منبع عظيم أدركنا سر قوته التي تسقط دونها أسرار القوم في كل حين. إن الأفكار الإنسانية لتفاوت في درجات الذكاء والمواهب المختلفة وتحتليف من حيث القوة والضعف والاستمرار والانقراض ولو فرضنا أننا تركنا الفكر الإسلامي يواجه الفكر الشيوعي لظهر الفرق بين هذين الفكرتين إن جاز تسمية الشيوعية بأن لها الفكر ... وإذا علمنا أن فكرنا معتمد وما خود مما جاء عن الله بطلت المقارنات ولكن كل هذا من باب الإقناع والتنزيل والمناقشة بالحسنى .

إننا نريد أن نخلص إلى أن الإسلام هو محط النظر من إشارة الحروب وهو منتهى القوم الذين يتظاهرون باختلاف السبل والطرق المؤدية إلى العمل المعلوم ... إن القصد هو محق هذا الدين والقضاء عليه عن طريق زعزعة النفوس وبث الشكوك فيها والنيل من قلب المسلم

عن شتى الطرق الموصلة لهذه الغاية ولو ذهبت الأوطان
بسبب ذلك .

(٨)

قواعد المناقشة



يختلف الأطباء وإن كانوا متخصصين في مرض معين في نوعية مرض المريض وصرف العلاج له... ويختلفون في القدرة والمعرفة كما يختلفون في الطريقة وخاصة الإخلاص... والقياس في محله إذا قسنا هذا على ما يدور اليوم من آراء وأفكار... فالمفكرون النقاد في المجال الإسلامي العريض هم الركب الأول لتصحيح الاعوجاج وهم بقدرة الله السد المنيع أمام الزحف الفكري الوارد من عقل الإنسان... وكما يختلف الأطباء كذلك يختلف نقاد الفكر الإسلامي والمفكرون على العموم ولو لا هذا الاختلاف لما ظهر سر النبوغ والمجودة في تدوين القول، بيد أن الإخلاص هنا أمر مطلوب لا منصرف عنه ولا سبيل ولو لا إخلاص المخلصين والبذل في هذا السبيل لما انتشر فكر ولا ساد نظام وإن

يسد يوماً فإن مصيره الفشل . والفكر الإسلامي الحديث يواجه هذا الخطر الطويل المحكم المتمثل بالشيوعية وهو إذ يواجهه يحتاج إلى رصيد بالغ جيد بدونه لا يمكن أن يسير في رده ولا يتمكن من الوقوف أمامه لا سيما إذا قد علمنا أنه تغلغل في بلاد كثيرة ، والفكر الإسلامي إذا لم يكن معه من النقد ما يقومه ويصحح له السير والمسير وإذا لم يكن مبنياً على الجد والأصالة ورجاحة الحجة وقوية الدليل وعلو الأسلوب وإذا لم يكن له قوة تحميته فأكاد أجزم أنه لن يفلح في طريقه الشاق الطويل . . ولعل في القواعد الآتية ما يرسم لنا الطريق للوصول إلى فضح النظام الشيوعي وأخيراً تبيين زيفه وأنه مبني على القوة ولا مزيد . . . والقواعد زاد من أراد الزاد ولا جرم فإنها سلاح بدونها يصعب حمل السلاح وأول هذه القواعد التي نراها في هذا السبيل :

أولاًـ معرفة العقيدة الإسلامية المعرفة الكافية الحامية وفهم الكتاب والسنة الفهم الصادق الوعي والتغذى بكتاب السلف من علماء هذا الدين الذين كتبوا في العقيدة ومعاني القرآن وأسراره وفهموا الحديث فهماً تماماً

قصروا أنفسهم على ذلك وهذه قاعدة مهمة لمن أراد الخوض في مجال النقد والمناقشة والردود .

ثانياً- أن يتخصص بعض المفكرين لدراسة النفس الشيوعية وطبيعة حالتها ومواطن القوة والضعف فيها وأن يأتوا بعمل كامل غير مببور للتمكن من نقض الآراء والنظريات والقواعد التي تقوم عليها فكرة هذا المذهب .

ثالثاً- أن تتكامل المعرفة التامة للفكر الشيوعي من خلال دراسة الأحوال العامة والخاصة للذين يخضعون لهذا الفكر وأن تكون المعرفة في الحدود الشيوعية لئلا يختلط الأمر بين فكر وفكرة فنخطيء من حيث نريد الإصلاح ولا خير هنا من الاستفادة من المذاهب الأخرى إلا أنه يجب هنا أن ننصر لهم على الأول .

رابعاً- أن تتوفر الرغبة الأكيدة في نفس المفكر المسلم وأن يكون على بعد كبير عن مطامع النفس البشرية التي يذهب معها كل صالح مع الأيام وأن يحاول التجرد التام في الحوار والمناقشة والنقد وأن يتبع عن الشدة وإيراد ما يبعد النفس عن قبول الإسلام من السب والشتم التي تبعد العلم والعقل عن الأسلوب مهما كان نوعه من حيث

القوة والتركيز والسبك .

خامساً- أن يحاول جلب الأدلة من القرآن والسنة وكتب السلف وأن يكون على جانب جيد لمعرفة مكان الدليل وما يُراد به وأن يحافظ على الالتزام في مجال دفع القول وإيراده في كل نقطة من نقاط الجدل .

سادساً- أن يستشير العلماء ويرجح ما يراه راجحاً من القول وأن يكون مدركاً أن الدخول أيسر من الخروج .

سابعاً- أن يكون على جانب كبير من المرونة والذكاء وسعة الاطلاع وأن يكون فاهماً لفارق بين الأفكار وأنها أفكار بشرية عرضة للنقض على الدوام .

ثامناً- أن يكون صامداً أمام ما يقال عنه وأن لا يشك في نفسه وأن يحاول أن يكون متواضعاً وقابلأً للنقد المبني على سلامة النية وأن يُغير ما يراه موافقاً للتغيير وأن يكون قريباً من أراد مناقشته فيما أورده وأن يحترم نفسه بنفسه ويؤمن بأن الله الهادي إلى سواء السبيل .

تاسعاً- أن يكون دائماً على معرفة جيدة حول ما يجد

من الأفكار والنظريات وأن يتبع الخطوات في الفكر العام ويدرس كل جديد على حدة لتكون دراسته مرتبة تُعجب طالب الحقيقة وتقود إليها كل من غالط نفسه أو داخلها نوع من القلق والتعقيد.

عاشرًا - أن يتتأكد التأكيد القوي أنه في هذا السبيل إنما يقوم بواجب يُسأل عنه أمام الله ثم أمام التاريخ والناس وإن هو أهمله مع القدرة عليه فإنه مؤنث أمام نفسه وأمام الجميع وأن يكون على صلة مستمرة بما يقوى معنويته من الاتصال بتراث الإسلام الصحيح وهذا يدفعه إلى البذل والنشاط والقوة والفهم والاستمرار.

الحادية عشر - أن يستفيد من الأخطاء السابقة ويحاول أن يكون عاقلاً حكيمًا في مجال البحث وأن يترك الخروج عن الموضوع ولا بأس من قبول الحق من الأعداء وإيراد أدلةهم المواقفة والتي هي بنفس الوقت دليل عليهم وأن يستخير الله في كل مسألة وقول وأن يجعل همه إرضاء الله ونصرة دينه وتوحد كلمة المسلمين.

ولعل أهم قاعدة يأوي إليها المفكر المسلم أمام أي نظام

هي قاعدة القوتين المعنوية والمادية وبهما يستطيع أن يعمل ما لم يكن بالحسبان ... وهذه القاعدة لا تتوفر إلا ملـ كـان لـديـه مـروـنة ولـبـاقـة وـحـسـن أـخـلـاقـ وـمـعـاـشـة يـحـوـطـ هـذـا كـلـه إـخـلـاصـ النـيـة وـطـهـارـةـ الـقـلـب وـسـلـامـةـ النـفـسـ وـقـبـولـ الحقـ منـ أيـ إـنـسـانـ .

وبعد هذه القواعد ، نقول إن الفكر الإسلامي بحاجة إلى نقد متجرد رفيع ... وبدون هذا نرى أن الواقع يخالفنا على طول الخط ولعل في الأدب العربي وما شهدـهـ هـذـاـ الأـدـبـ منـ نـقـدـ عـلـىـ يـدـ :ـ الرـافـعـيـ وـمـنـدـورـ وـطـهـ حـسـينـ وـالـعـقـادـ^(١)ـ الـدـرـسـ الجـيدـ لـحاـوـلـةـ إـيـجـادـ النـقـدـ لـنـصـلـ إـلـىـ الـقـمـةـ فـيـ يـسـرـ وـسـهـوـلـةـ وـحتـىـ بـعـدـ هـذـاـ لـاـ نـشـعـرـ بـنـدـمـ إـذـ قـمـنـاـ بـاـ نـسـتـطـيـعـ .ـ وـالـحـقـيقـةـ أـنـنـاـ بـحـاجـةـ إـلـىـ جـمـعـ الـكـلـمـةـ وـمـعـرـفـةـ كـلـ مـاـ هـوـ جـدـيـدـ .ـ إـنـ إـلـاسـلـامـ بـدـوـنـ .ـ إـلـإـنـسـانـ .ـ بـخـيرـ وـنـصـرـ دـائـمـ وـلـكـنـهـ اـمـتـحـانـ صـعـبـ هـذـاـ إـلـإـنـسـانـ ،ـ هـلـ يـقـومـ بـوـاجـبـهـ أـمـ خـصـومـ أـمـ لـاـ ؟ـ

(١) النقد الأدبي قد دفع بهذا الأدب إلى مكانة جيدة . بسبـها اـرـتفـعـ الأـدـبـ .ـ معـ مـلاـجـظـةـ .ـ أـنـ الأـدـبـ فـيـ تـلـكـ الفـتـرةـ يـفـقـدـ الـالـزـامـ الصـحـيحـ .

إِنَّ اللَّهَ أَغْنَىَ وَلَوْ شَاءَ لَا تُنْصَرُ مِنْهُمْ وَهَذِهِ حَقْيَةٌ أَكْدَهَا
بِلْ قَالُوا «الْقُرْآنُ».

وخطوة أخرى في هذا الطريق نسجلها لعلها تكون مأخذ التنفيذ من العاملين على التعليم وهي أن تدرس الأنظمة والمذاهب البشرية الحديثة ويكون الدرس لها على جانب عظيم من علم بالإسلام أصوله وفروعه ويكون على درجة علمية رفيعة بالنقد وبيان الموضوع... ولا يعني هذا إهمال المذاهب والفرق التي ظهرت قدیماً بل يجعل كل هذا بجانب أو جوانب وتدرس للطلاب خاصة في المرحلة الثانوية والجامعية والدراسات العليا. ويسعى بجانب أن تدرس حال المسلمين في العالم وهذا فيه ما فيه من النفع والخير العميم... ونحن بحاجة إلى أن يكون أبناءنا على علم بما حولهم من شر كبير. إن الكتاب الجيد والمدرس الجيد المخلص من الأمور التي يجب أن تعارض كل اهتمام... إن الكتاب إذا كان محتواه جيداً وأسلوبه راقياً مفهوماً... وإذا كان المدرس ذا شخصية بارزة فإن هذا من الأمور المؤدية للنجاح مهما قيل في صعوبة هذا المطلب أو ذاك... والواجب أن ما يقوم اليوم

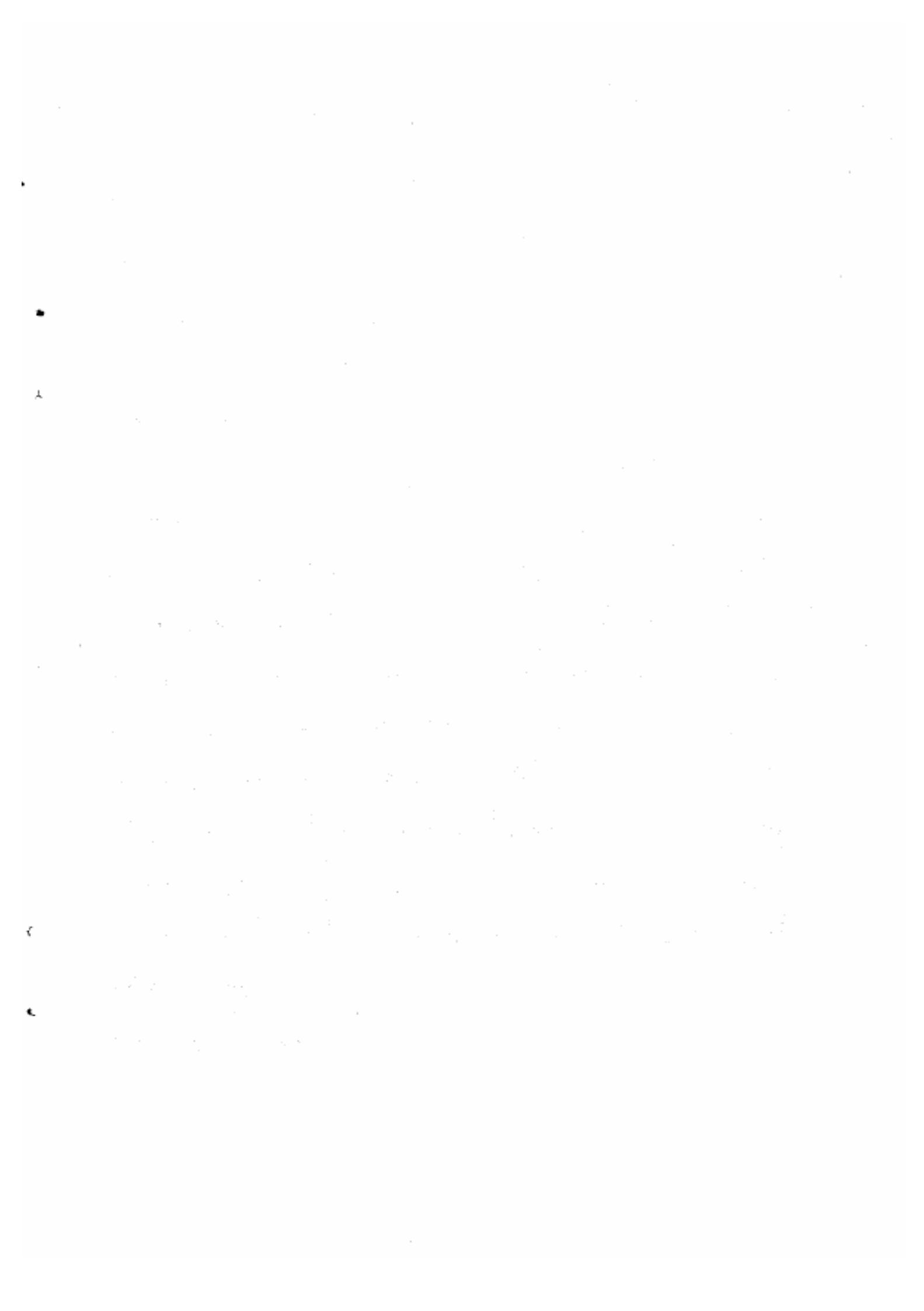
بالبلاد الشيوعية من حيث تلقين المذهب للطلاب والثقفين يجب أن تكون نحن أولى به منهم فهم يبشوون تعالييمهم عن طريق وسائل الإعلام ويركزون على أهم القواعد وينعون عن بلادهم كل ما يخالف مذهبهم^(١). وأحسب القراء يفهمون أن اليهود قد نجحوا في تجهيل العالم عن طريق نشر العلم يجعل علم النفس والاجتماع والحضارة والتاريخ والشعر وهو من فروع الأدب من الوسائل المؤدية لسيادة الإنسان وتعبيده، وأنه آلة صماء لا تبدي ولا تعيد... وهم والحق يقال، قد تمكنوا من قيادة هذا الجيل الذي ضيع دينه ونسى ربه وتجاهل حقيقة وجوده في هذه الحياة المنتهية... إن مقاصد رجال الفكر في العالم الحديث أن يكون الدين الإسلامي في بعد عن الواقع، إن إبعاده معنوياً هو المطلب المنشود وهو الأمل الراجح على كل أمل مرجوح... إن الإنسان الحضاري قد تقيد قلبه وشبت نفسه على ما في هذه الحضارة من بريق إن الشبهة قد تكنت من القلب والشهوة قد سيطرت على الجسم... ولذا يكون من

(١) الصنم الذي هو.

الصعوبة بمكان معالجة مثل هذا الانقلاب العجيب في تاريخ الإنسان^(١). إن العجب في محله إذا قلنا إن الحيوان أدرى بمصلحة نفسه من الإنسان إنه يدرك بفطرته ما يضر وما ينفع ويدرك خطورة ما في الطريق من زلات ومنخفضات... إن المسلم هو الضحية وهو الصيد الذي تخطت إليه الأنظار.

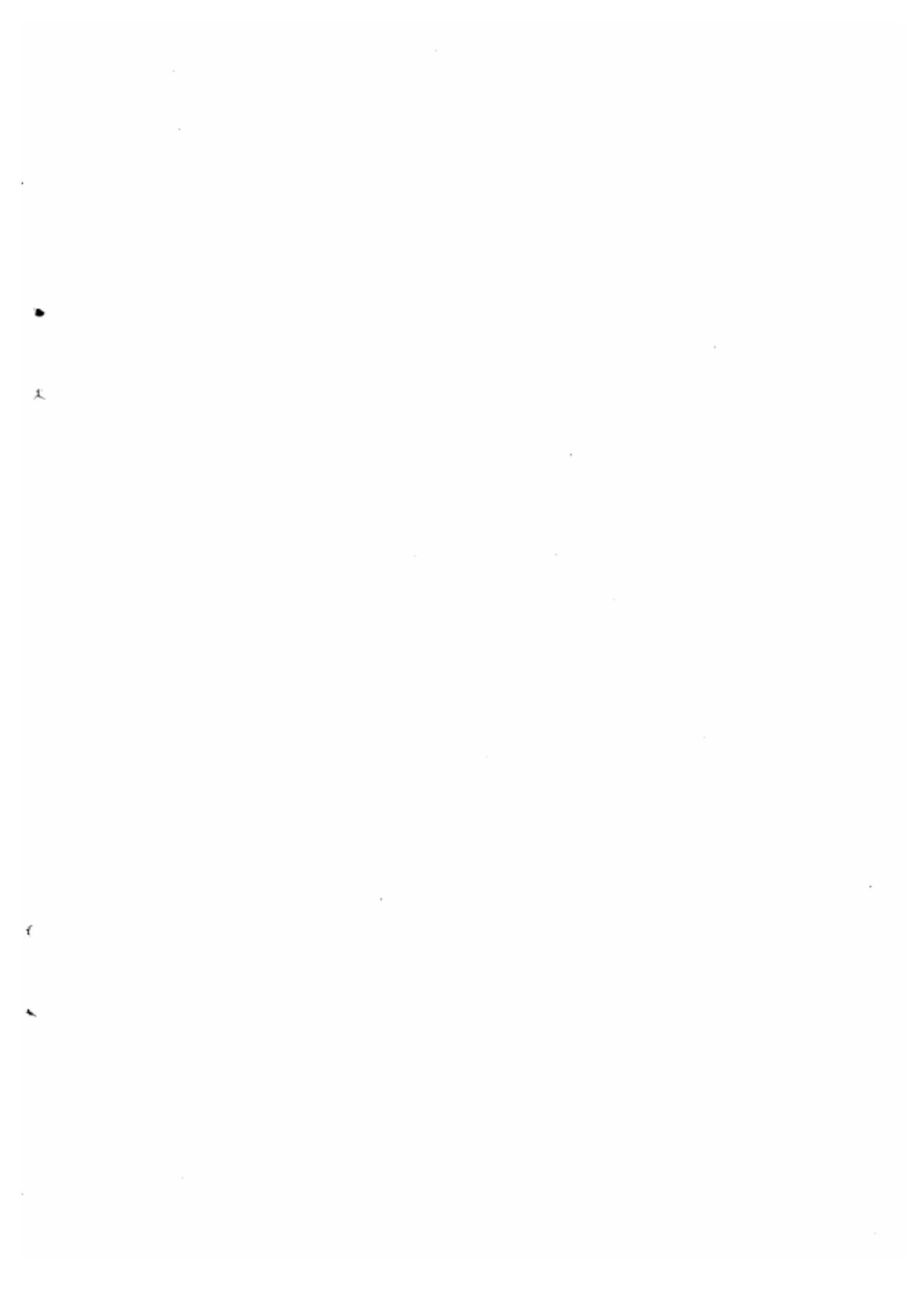
ولا يخفى أن التخطيط الشيوعي قد علم بعد تطور وسائل الإعلام كما علمت من قبل مخططات اليهود الرهيبة، وهذا يوقننا بجد على دراسة طبيعة الزحف ويجعلنا عالمين بما يراد بالإنسان وهو يجعلنا أكثر استفادة من ذي قبل في مناقشة الأفكار ورد النظريات ولا سيمانا ونخن نتميز عنهم بما وهبه الله لنا من قوة ليس فوقها قوة ولا جرم فإن الله يكفل النصر مع الإخلاص... ومحمل ما يمكن ذكره أن نحاول أن نكون كما أراد الله وأن نلازم القرآن والسنة الصحيحة وندأب على تلاوة وتفهم وتدبر القرآن لكي يمكن أن ننطف النفس ونصقل الروح ونطهر البصر ونطيب السمع ونتلفظ بالطاهر من القول الحق المرضي.

(١) راجع إغاثة اللهفان: ج ١ . من ١ إلى ٧٠



(٩)

الخاتمة



حمدأَللّٰه وشكراً لـه علـى توفيقـه وـمنه، ثم صلاة علـى صفوـته
من خلقـه خـير رسـول لـخـير أـمـة . . .

لقد قمنا بتدوين هذا القول في هذه الرسالة وقد حاولنا
بذل الجهد ، جهد المقل . . . ولعل الذي تركناه مما هو
مطلوب تدوينه وواجب أكثر من المذكور وهذه صفة
تصف بها الإنسان وهي تشعر بنقصه وقصوره مهما حاول
أن يصل إلى الكمال . . . وجملة ما قيل في الصفحات
الماضية أثـنـا رـكـزـنا عـلـى أـهـمـ الأـدـوارـ والـقـوـاعـدـ الـتـيـ تـشـيرـ
إـلـىـ الشـيـوعـيـةـ مـنـ قـرـيبـ أوـ بـعـيدـ . . . وـتـنـاـوـلـناـ الـفـكـرـ
الـإـسـلـامـيـ الـمـعاـصـرـ وـحـاجـتـهـ إـلـىـ النـقـدـ الـعـلـمـيـ الرـفـيعـ وـقـدـ
يـكـونـ بـعـضـ مـاـ ذـكـرـ فـيـ تـلـكـ الصـفـحـاتـ مـاـ هـوـ مـدـونـ هـنـاـ
فـيـهـ خـرـوجـ عـنـ الـمـوـضـوعـ نـقـدـ أـصـوـلـ الشـيـوعـيـةـ
وـلـكـنـاـ رـأـيـنـاـ بـعـدـ تـدـقـيقـ وـنـظـرـ أـنـ كـلـ مـاـ ذـكـرـ فـيـ الرـسـالـةـ

متناسك وللقارئ أن يقدم أو يؤخر ...

صحيح أن العنوان قاصر على نقد الأصول ، وذلك لأنها بيت القصيد وهي السبب الدافع إلى التأليف ، وأنا أعتبر نقد الأصول في المذهب الشيعي من الجدة بحيث لم أقرأ شيئاً عن ذلك اللهم إلا إن لم يصل إلي شيء من هذا وأنا في كل هذا معدور وأرجو من الله القبول ... وادعاء أن الرسالة كاملة من حيث المناقشة لا يحسن أن يقال ولكنني مطمئن على أية حال إلى أنها فيها كمال نسي يرجى أن يقوم بدوره الفعال في هذا العصر وكل العصور ... ولقد ناقش أكثر الباحثين المعاصرین الشيعية نقاشاً طيباً إلا أن البعض قد وقع في خطأ غير مقصود أو خطأ أملأه عليه الواقع وذلك هو التفريق بين الشيعية والاشتراكية ومعنى بالاشتراكية: الاشتراكية أي كانت وأياً كان نوعها لأنها في الأصل خارجة عن الإسلام ويعني عن الاشتراكية بحمد الله الزكاة والصدقة وأنواع التطوع والقربات والصلات ولذا جاء قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمْتُ عَلَيْكُمْ نَعْمَلَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ . وكذلك جاءت السنة مشيرة إلى كمال الدين

وتمامه فلو كانت الاشتراكية مقبولة لقبلت ، ولكنها مرفوضة والإسلام بريء منها مهما كان نوعها واسمها وأنا لا أعذر أي كاتب مسلم يتسامح في ذلك ، وما قيل عن مصطفى السباعي وكتابه : « اشتراكية الإسلام » . فقد قيل لي وتواتر القول أن السباعي تراجع وتنى أنه لو رد على نفسه بنفسه فالكتاب على هذا لا ينسب له ولا إليه إلا من باب معرفة المجهول فرحمة الله لكل تائب ... ونقول إن عدم التفريق بينهما واقع ملموس والتفريق خطأ كبير في الفهم والإدراك وخطأ في معرفة المصطلحات التي تحتاج قبل كتابتها إلى بحث وتدقيق ومراجعة كبيرة لعلماء هذا الدين خاصة العلماء المختصين بالكتاب والسنّة وأحكام الإسلام ... وأيضاً فلهذا نظير في الخطأ وهو وقوع البعض في القول بأن الإسلام « ديمقراطي ». أو أنه يماثل في قيامه ما يُسمى اليوم بالـ « جمهورية ». فهذه أخطاء معضلة جداً فالإسلام إسلام وكفى ، قام على الشورى والنظام والعدل والمساواة ... والوقت ما زال معنا لتصحيح الخطأ والرجوع إلى الحق . وليس من سبيل إلى الوصول إلى

الحقيقة إلا عن طريق القرآن والسنة ومهما تجرد الفكر أو كان معجباً أو تابعاً لغيرهما أو مقلداً فإنه في عمله هذا إن كان كذلك إلى الفشل أقرب منه إلى النجاح من أجل ذلك تدهور «الحمد بن درهم» «والجمهم بن صفوان» «وواصل بن عطاء» «وأبو هذيل العلاف» «وابن عربي» «وابن سينا» «والغزالى في أول أمره» «والفارابي». ونحن الأحياء لنا عبرة بن قد مضى في متقدم العهد من انحرف عن جادة الصواب فانهار من حيث ظن أنه في قمة من العلم كبيرة^(١) وهذا غرور وهو قريب من الإنسان ما لم يتحصن... وأمام القارئ ما قلنا ونحن لا نلزم بطريقتنا أحداً أو نجبره على قبول ما قلناه، ولكن قبل هذا فإن سعة الصدر وقبول الحق وإرغام النفس عليه هذا كله يأتي في مقدمة المقدمات. إننا قد عالجنا في هذه العجلة الأصول مع اختصار حاولنا أن تكون فيه متزلاين مع الخصوم وأن نلزمهم الحجة بمثلها ونقودهم إلى الصواب من أقرب طريق...

(١) قال في مفتاح دار السعادة الجزء الأول ما معناه: «الغرور مرض من أمراض النفس». وهذا صحيح وقد دلت التجربة أن الغرور مرض قد لا يكتشف صاحبه

ولما كانت الشيوعية في أول أطوارها المتقدمة لم يكن لها من القواعد شيء ولم يكن لها أدلة علمية . وأصول ثابتة فقد قصرنا العنوان كما سلف على العصر الحديث لأن الشيوعية دخلت الفكر الإنساني عن طريق العلم وبنـت أصولها على أدلة سياسية وتاريخية واقتصادية فيها من القوة بقدر ما فيها من الضعف لــن أــوتــي بصــيرــة ، والحقيقة لم نــكــن بــحــاجــة إــلــى النــقــد وــكــشــف التــزــيــيف وــهــتــك ســتــر ما تــقــوم عــلــيــه الشــيــوعــيــة لــوــلــا أــنــالــبــعــض يــحــتــاج إــلــى هــذــا ليــثــبــتــ لــدــيــه القــوــلــ مع الدــلــيــلــ وــنــخــنــ هــنــا لــا نــهــدــيــ فــاــهــدــاــيــة بــيــدــ اللهــ وــإــنــما كــانــ جــلــ مــا قــمــنــا بــهــ هوــ أــنــ تــبــرــأــ الذــمــةــ وــتــقــومــ الحــجــةــ عــلــى الغــيــرــ وــهــذــا يــعــطــيــ رــاحــةــ الــبــالــ وــســكــونــ النــفــســ مــعــ أــنــ الــقــصــورــ ثــابــتــ وــمــعــتــرــفــ بــهــ وــلــكــنــ أــرــجــوــ اللهــ أــنــ يــتــجــاــزــ ويــجــعــلــ الــعــمــلــ خــالــصــاــ صــوــاــ ... وــصــلــىــ اللهــ وــســلــمــ وــبــارــكــ عــلــىــ نــبــيــهــ مــحــمــدــ وــآلــهــ وــصــحــابــتــهــ إــلــىــ يــوــمــ الدــيــنــ .



المراجعة

الرقم	الكتاب	ملاحظات
١	بروتوكولات حكماء صهيون	
٢	الجمهورية	أو: جمهورية أفلاطون
٣	تاريخ الأمم والملوك	الطبرى
٤	الملل والنحل	الشهرستاني
٥	لحات من تاريخ العالم	جلال نهرو
٦	الصنم الذي هوى	طائفة من المؤلفين
٧	نحن والتاريخ	الأوروبيين: سبعة ...
٨	القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة	قسطنطين زريق
٩	من هنا نبدأ	محمد أحمد خلف الله
١٠	مستقبل الثقافة في مصر	خالد محمد خالد
١١	الإسلام وأصول الحكم	طه حسين
١٢	مجلة الآداب	علي عبد الرزاق
١٣	مجلة البلاغ	عام ٨٧ هـ مصر
١٤	نظريّة دارون بين مؤيدتها وعارضها	عام ٩٣ هـ الكويت قيس القرطاس

ابن تيمية	الرسالة التدميرية	١٥
ابن القيم	مفتاح دار السعادة	١٦
لينين	الأُسُّ اللينينية	١٧
ابن القيم	إغاثة اللهفان	١٨
كارل ماركس	ختصر رأس المال	١٩
ماو	أفكار ماو تسي تونغ	٢٠

فهرس

الصفحة	الموضوع	العدد
٥	المقدمة	١
١٣	أصل الشيوعية	٢
٣٥	تطور الشيوعية	٣
٥٩	نقد أصول الشيوعية	٤
٥٩	القسم الأول	
٧٩	القسم الثاني	٥
٨٧	حاجة الفكر الإسلامي إلى النقد	٦
	لمواجهة المذاهب المدamaة	
٩٩	اتفاق السبيل باطنًا	٧
١١٣	قواعد المناقشة	٨
١٢٥	الخاتمة	٩
١٣٣	المراجع	١٠